جامعة عمار الثليجي الأغواط
كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية.
قسم العلوم الإنسانية

الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي وصراعه مع يهود توات

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر أكاديمي في تاريخ المغرب الحديث و المعاصر

إعداد :
- هاجر جعمات.
- فاطمة لهزيل

إشراف الأستاذ:
- عيسى بوقرين.

2015 -2014

دعاء

اللّهم إني بحمدك أستفتح ،وبرشدك أسترشد و أستنجح ، وبتوفيقك أستهل كلّ صعب،وبعظمتك أستقلّ كل خطب، وبنور هدايتك أستضيء، وبعزّ عنايتك مرتضى ،وببركة قدسك أستهلّ ، ومن سعة علمك أستمّل ،ومن غزير إلهامك أستمد، وإلى عزيز سلطانك أستعدّ ،لك الحمد والمنّة،وبعظمتك التوقي والجنّة ،وبك أعوذ من شرّ الإنس والجنة، وبرحمتك أرجوا الفوز بالجنة .

اللهم صلّي على خير الأصفياء وخاتم الأنبياء ، ومنشئ الفصاحة وجامع الملاحة ، وصاحب البيان وحبيب الرحمان ، ذو الجمال

البديع والجناب الرفيع والدين القويم ، والمنهاج المستقيم ،

سيّد المرسلين والمؤيد بالملائكة المقرّبين ،محمد الأمين

الذي أعليت درجته في عليّين ،وأنزلت عليه في كتابك المبين:

«يس، والقرآن الحكيم ،إنك لمن المرسلين ».

"ببركة هذا الدعاء تم انجاز هذا العمل "

حكمة

إنما يطلب العلم بالنظر ، وليس النظر يصيب

أبدا، ولا بحفظٍ أبد، بل بعض النظر

مصيب وبعضه مخطئ.

مقولة للإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي.

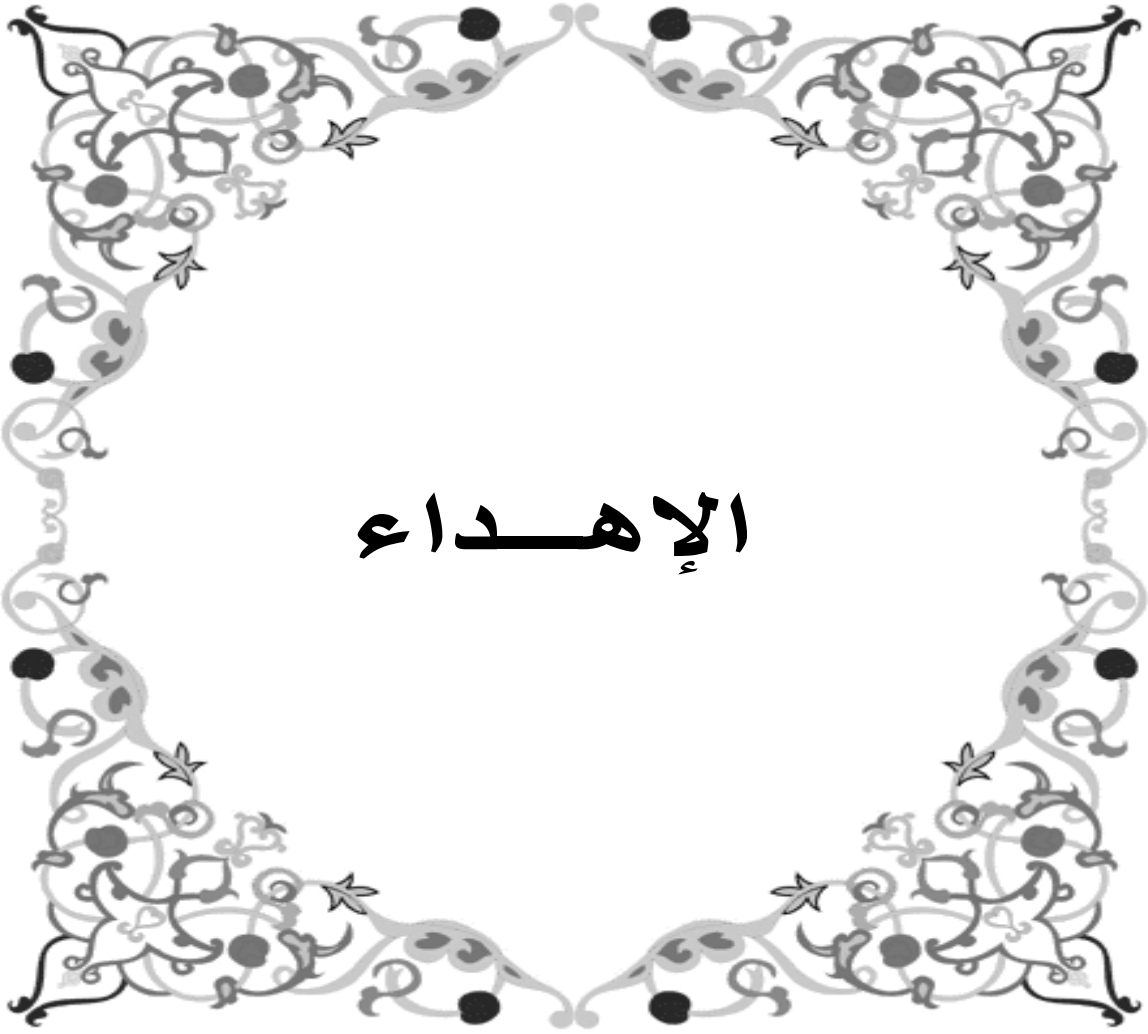

الإهـــداء

الإهـــداء

اللهم أنت ربي لك الحمد أن وفقتني،و سخرت عبادا لي، وأنت تهون الأمر بعد العسر، وأحمدك حمدا لن أكون له القاطعة أو التاركة ، وصلي اللهم وبارك على حضرة سيد الخلق أجمعين وسيد الأولين والآخرين ، مفتاح باب اليقين ، ومعلو الناس الدين، ومن بجاهه تقبل شفاعة الدارين، وعلى إخوانه أصحاب الرسالات أجمعين ، والآل والصحب الطاهرين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

إلى والدي الكريمين حفضهما الله .

إلى إخوتي و أخواتي.

و إلى كل العائلة الكبيرة.

و إلى كل الصديقات .

هاجر

الإهـــداء

أبدأ بسم الله فاتحة القلوب وأدعو ربي الخالق مفرج الكروب ناصر الحق حتى لو قلّت العدّة في الحروب ، مشرق الشمس بعد الغروب المنير بالإيمان الصدور والدروب ،أتخذه وليّا ومن اتخذه ليس بمغلوب ، وصلي اللهم وسل على سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد الأمين وعلى آله وصحبه الطاهرين ومن اتبعهم إلى يوم الدين.

إلى روح والدتي الغالية "خديجة رحمها الله "

إلى الشمعة التي أحرقت نفسها عن طيب خاطر لتنير درب حياتي رمز الحب ومنبع الحنان أمي الحبيبة "يمينة"

إلى مربّي الفاضل وقدوتي في الحياة "أبي العزيز مسعود "حفظه الله "

الى زوجي الفاضل و نور عيني ابنتي الحبيبة أمينة حفظهم الله

وكل عائلة زوجي

إلى إخوتي و أخواتي

إلى كل صديقاتي

إلى كل المعلمين والأساتذة الذين لهم الفضل في تعليمي عبر

كل مراحل الدراسية

وإلى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد .

فـاطـمـة

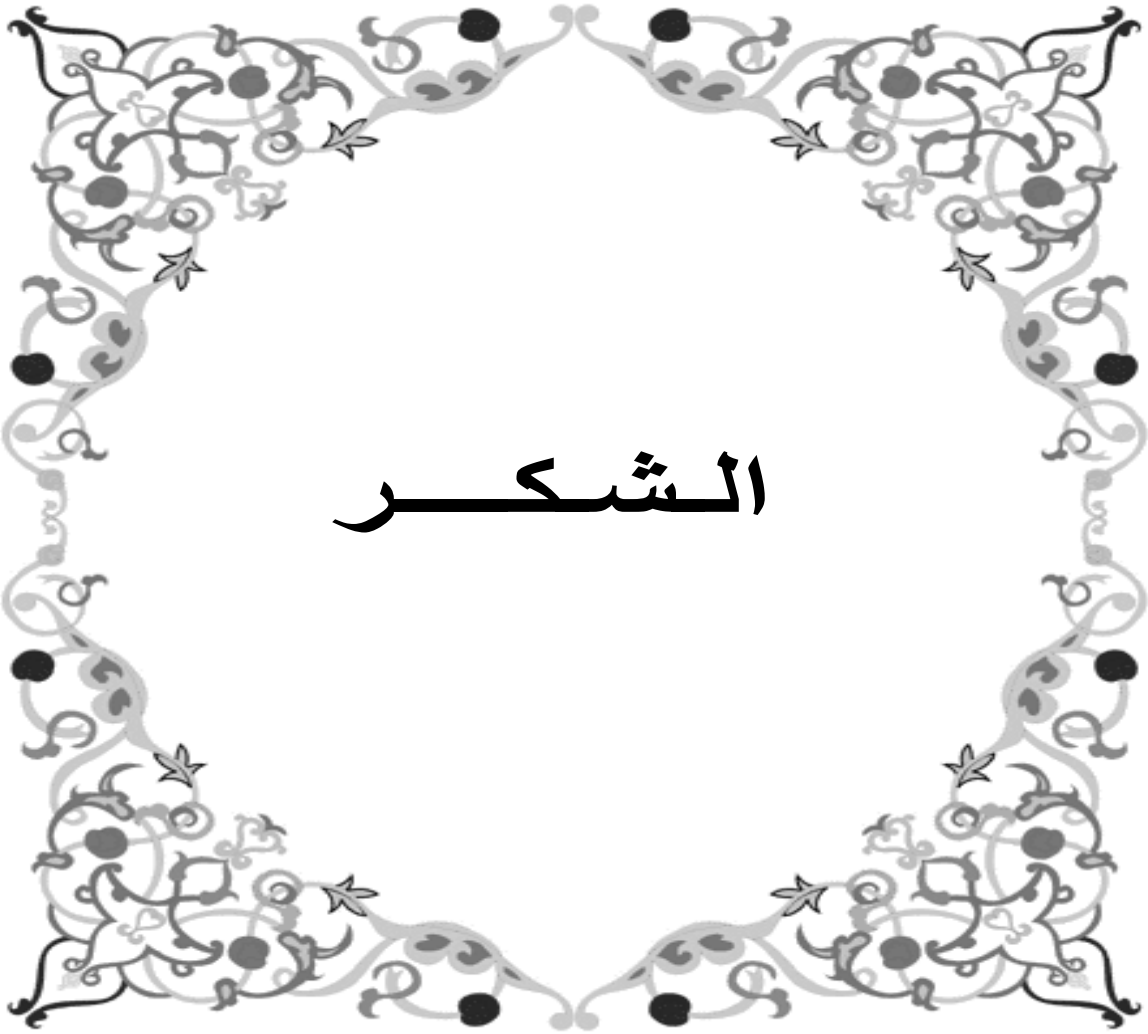

الـشـكـــــر

شكـــــر

الشكر الأول والأخير لله ربّ العالمين، مصداقا لقوله تعالى: « وإن تشكروا الله على نعمه يزيدكم » .

كما نشكر الأستاذ المشرف على سؤاله واهتمامه الدائم بنا ،

واعترافا بالفضل و الجميل نتوجّه بخالص الشكر وعميق التقدير و الإمتنان إلى الأساتذة الأفاضل بومدين كعبوش ، خالد شارف ،يوسف رحمون، الذين تعهّدوا بتصويبنا ونصحنا و إرشادنا .
جازاهم الله عنا خير الجزاء و بارك لهم ورفع درجاتهم في الدنيا و الآخرة.

ودعاؤنا الخالص لله عزّوجل بأن يحفظ الصديقة العزيزة فاطمة الباتول بن زيان على كل ما قدّمته لنا من مساعدة .

كما ونتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدنا على إخراج هذه الرسالة إلى النور نخص بالذكر الأستاذة آسيا غريبي
و الأستاذ بداوي محمد المشكور على مساعدته

وإلى كل من دعمنا وشجعنا من قريب أو بعيد.

قائمـــــــــة المختصرات :

- تحقيـــــق : تح
- مراجعـــــة : مرا .
- تقـــديـــم : تق.
- تـــرجمـــة : تر.
- تـــــوفي : ت .
- الجـــــزء : ج .
- دون تاريخ نشر : (د.ت) .
- دون دار نشر : (د.د.ن) .
- دون مكان نشر : (د .م.ن) .
- رقم الطبعـــــة : ط .
- الصفحـــة : ص .
- ما جاء بين الحاضنتين آراء شخصية للطالبتين : [ ]

.

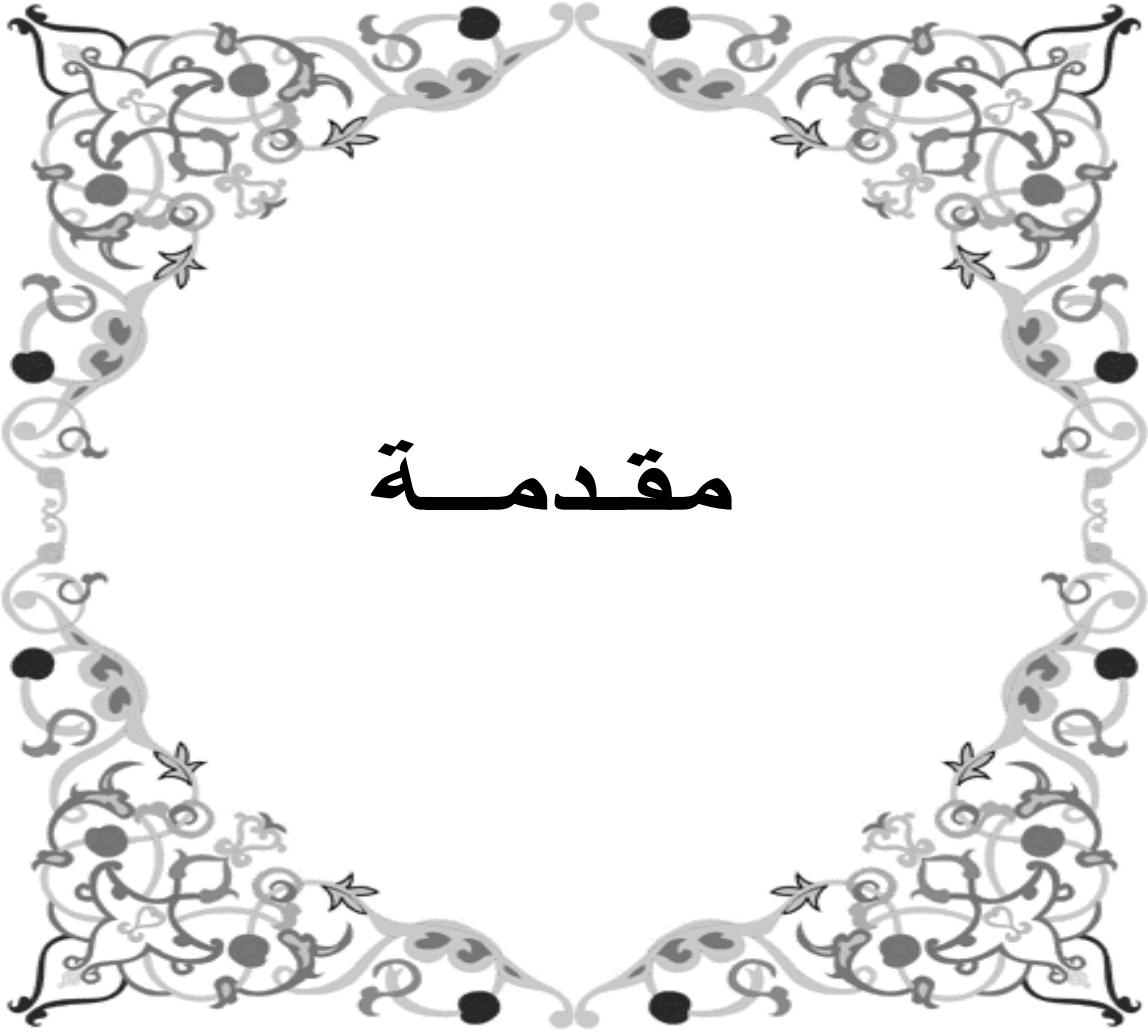

مقدمـــة

شهد الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط بضفتيه الشمالية و الجنوبية نهاية القرن 15م بداية القرن 16م فترة تحولات عميقة جذرية انقلبت فيها موازين القوّة بين الشرق و الغرب بالتوجّه نحو نظام غربي مسيحي بعد أن كان شرقي إسلامي إثر ضعف الحضارة الإسلامية .

هذه التطورات الخطيرة التي مسّت الحياة السياسة والإقتصادية والإجتماعية ل لشعوب الإسلاميّة في المنطقة لم تؤثر على الناحية الثقافية و العلمية ، خاصة في بلاد المغرب الإسلامي ،لما عرفته من حركة واسعة في هذا المجال ، والشاهد على ذلك كثرة العلماء والفقهاء في هذه الفترة ، و انتشار المراكز الثقافية كحاضرة الزيانين تلمسان التي أنجبت العديد من الأعلام، إضافة إلى المثاقفة مع البيئات الأخرى كبجاية أو فاس أو الزيتونة و غيرها من الحواضر الإسلامية .

ومن نخبة العلماء الذين بصموا على سجّل التاريخ الإسلامي بصمة غائرة ، الفقيه العالم التلمساني محمد بن عبد الكريم المغيلي، الذي عمل بمبد إ الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، قولا و عملا، فكانت قدرة الرجل خارقة في استطاعته الجمع بين العلم كالتدريس و الفتوى ،و العمل بمحاولة الإصلاح و الجهاد وفقا لمبادئ الشريعة الإسلامية.

ويعتبر الإمام المغيلي من أولئك العلماء القلائل الذين شهّروا صراحة بانحراف المسؤولين في المغرب الإسلامي وتوانيهم عن أداء واجباتهم ، و سلحهم لفئات لها وضعها الخاص في الشريعة الإسلامية وهم اليهود بالتدخل في أمور المسلمين متجاوزين الأطر المحدّدة لهم فلستفحل أمرهم ،ما جعل الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي يثور على هذا الوضع ، ويعلن حربا شعواء ضدّهم لا هوادة فيها مسرح أحداثها توات و ما جاورها من أقاليم ، وهو موضوع دراستنا.

و من أسباب بحثنا في هذا الموضوع :

- ✓ اقتراحُه من طرف الأستاذين الفاضلين خالد شارف وبومدين كعبوش بطلبٍ منا .ولثقتنا الكاملة في حسن اختيارهما من منطلق ثقافة واسعة ووعي تام للأستاذين ،واستفزازا منهما في البحث حول هذا الموضوع قرّرنا خوض غماره.
- ✓ كما أثار اهتمامنا قيام فريق متخصص أكاديمي إسرائيلي في وقتنا الحاضر بالبحث عن عرق لهم ضائع بالصحراء الجزائرية ،يصفونه بالكنوز التاريخية لليهود في منطقة توات، و أوضحت هذه

الدراسات أن معظم الأكاديميين في الجامعات الإسرائيلية منشغلين بشخصية الإمام المغيلي الذي طردهم بحدّ السيف ، فرأينا أنّنا أولى بدراسة هذه الشخصية وصراعه مع هذه الفئة .

✓ كما وتحذونا الرغبة في أن تكون لنا محاولة و إن كانت محتشمة بالإسهام في جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات حول هذا الصراع بين الإمام المغيلي و يهود توات بما توفّر لدينا من مصادر ومراجع ،لكل من يثيره هذا الموضوع و يرغب في أخذ فكرة عنه ولو بشكل عام.

وقد اتبعنا في دراستنا هذه لعدّة مناهج معروفة في مجال الدراسات التاريخية :

أولا : المنهج التاريخي الوصفي، الذي وظّفناه لسرد الأحداث التاريخية ووصفها وتصنيفها محاولين ترتيبها كرونولوجيا إن أمكن بما اتفقت عليه المصادر ، مع مراعاة ماله علاقة بالموضوع .

ثانيا: المنهجين التحليلي و المقارن أحيانا ، فالأول استخدمناه في دراسة الوقائع التاريخية، ومناقشتها وربطها ببعضها البعض أو بالظروف المحيطة بها، أما المنهج الثاني ففي مقارنة بعض المعطيات والوقائع التي كان يسودها اختلافات حول الحكم عليها ، بغرض الوصول إلى استنتاجات ،أو إلى الرأي الغالب لدى المؤرخين.

وتندرج إشكالية هذا البحث، في إطار الربط بين نازلة المغيلي ضدّ يهود توات و الواقع السياسي الذي عاصره الإمام المغيلي ومنه نطرح السؤال التالي: كيف كان لتمكين اليهود سياسيا و إقتصاديا في المغرب عموما و توات خصوصا دورا في تصدّي الإمام المغيلي لهم بإصدار هذه الفتوى؟

وتتفرع عن هذه الإشكالية أسئلة جانبية تترجم جانبا عنها نسوقها فيما يلي :

✓ كيف كان للبيئة التي نشأ فيها المغيلي تأثيرا على شخصيته وتفكيره المستقلّ ؟
✓ ماهي أهمية منطقة توات ، ولماذا كانت إنطلاقة المغيلي منها؟
✓ كيف كان وضع اليهود في المنطقة من الناحية الساسية و الإقتصادية ؟
✓ هل استطاع الإمام المغيلي أن يُوفّق في توظيف النصوص الشرعية (القرآن الكريم ، السنّة النبويّة ، أثر السلف الصالح) في آرائه السياسية و بلورة فتواه؟
✓ هل وُفِق المغيلي في استئصال شأفة اليهود من توات و ضواحيها؟

وقد حاولنا الإجابة عن عناصر هذه الإشكالية من خلال توزيع المادة العلمية بمضامينها على فصول هذه الدراسة، علما أن هذا البحث مركّب من ثلاثة أجزاء ، حاولنا إعطاء كل جزء حقه في الدراسة.

فأدرجنا بحثنا وفق خطة تكونت من :مقدمة و ثلاث فصول وخاتمة ومجموعة من الملاحق، بالإضافة إلى البيبليوغرافيا وفهرس الموضوع.

وتفصيلا لهذه الخطة تناولنا بالدراسة في المقدمة تغيّر الأدوار بين الشرق الإسلامي و الغرب المسيحي و انعكاسها على أوضاع العالم الإسلامي عامة والمغرب الإسلامي خاصة من الناحية السياسية، وعدم تأثرها من الناحية الثقافية ،باسهام العديد من العلماء في حركيتها من بينهم الإمام المغيلي .

ثم قسّمنا بحثنا إلى ثلاثة فصول ،خصّصنا الفصل الأول لترجمة شخصية الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي بدءًا من نسبه و مولده واختلاف المؤرخين في تحديده ،و أدرجنا رأي أهل الفضل فيه ممن عاصره أو في عصرنا الحالي.

ثم تطرّقنا لنشأته التي تعتبر مفتاح شخصيته ، حيث تتبّعنا مراحل دراسته منذ طفولته ثم رصدنا أهم رحلاته بإبراز أهم المدن والدول التي زارها، وصولا إلى اعتلائه منبر التدريس و الفتوى ، ذلك ما فجّر لديه ملكة الكتابة، فترجمتها مؤلفاته الكثيرة و المتنوعة في العديد من المجالات أوردناها حسب كل نوع.

وكان لابدّ من التطرق إلى علماء عصره من معاصرين له ، وشيوخه الذين نهل من خبرتهم و علمهم ، إضافة إلى طلبته الذين تتلمذوا على يديه.

وفي الفصل الثاني الذي أدرجناه تحت عنوان توات عشية مجيء المغيلي ، حاولنا إدراج دراسة كافية للمنطقة من كل النواحي ، للوصول إلى إدراك أهمية الاقليم كموقع هام استراتيجي ، وذلك بالبحث حول أصل التسمية ، وتاريخ بداية عهده ، مع ذكر الإختلاف الواضح في آراء المؤرخين في كل موضوع.ثم أوردنا أقوال الرحالة الذين مرّوا على الإقليم ،ثم حددنا موقع توات جغرافيا و فلكيا مع إبراز أهم مميزاتها التضاريسية و التركيبة البشرية، لنقف على أهمية الإقليم إقتصاديا بدراسة مجالاته الثلاث : الزراعة (وركّزنا على عنصر المياه باعتباره مصدر انعاشها)، وذكرنا أهم الحرف والصناعات التي عرفتها توات ، وأسهبنا في الحديث عن التجارة لما لها من أهمية اكتست بها منطقة توات .

ثم لنبيّن علاقة اليهود بالمنطقة كان لابدّ من ذكر لمحة عن تاريخ وجودهم بالمغرب عموما وصولا إلى توات، لنتطرّق إلى المكانة الهامة التي مُكِّن منها اليهود سياسيا و إقتصاديا ، وهو ما انعكس على المناطق المجاورة ومنها توات ،بحكم أن المنطقة كانت واقعة تحت تأثير الإنعكاسات السياسية لبلدان المغرب الثلاث المتناحرة.

أما في الفصل الثالث المعنون بنازلة الغيلي ضدّ يهود توات ،بدأناه بالسؤال حول سبب اختيار المغيلي لإقليم توات بالذات ، و أبرزنا أهم إنجازاته في المنطقة ،ثم ركّزنا على الفتوى التي يدور حولها موضوع بحثنا بتحليل محتواها شكلا و مضمونا و التي كانت أساس الإختلاف فيها مع باقي العلماء في هل يجوز هدم كنائس اليهود في توات؟ ،فارتاينا ان نورد أغلب الآراء الرافضة و المؤيدة لفتوى المغيلي.
وفي آخر مبحث في هذا الفصل أردنا ان نظهر أثر هذه الفتوى على اليهود وما فعله الإمام المغيلي بهم ، وكيف استطاع تنظيم المنطقة بعدهم ، وأظهرنا ردّة فعل اليهود في جرّ الإمام إلى حرب ثانية ،و ختمنا هذا الفصل بذكر وفاة الإمام المغيلي رحمه الله .
و في الأخير لخصنا بحثنا في خاتمة وضحنا فيها أهم ما توصّلنا له من نتائج.
ولإنجاز هذا البحث اعتمدنا على مجموعة من المصادر ، كل حسب مجالها ، فركّزنا في ترجمة الإمام المغيلي على كتاب نيل الإبتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا التمبكتي الذي يعتبر من المصادر الأولى التي ترجمت حياة الإمام المغيلي .
واعتمدنا في تحليل فتوى المغيلي على مؤلفه المسمى رسالة إلى كل مسلم و مسلمة ، المتعلق بأهل الذمة عموما واليهود خصوصا باعتبارها الرسالة التي بعث بها إلى علماء فاس و تلمسان و تونس لاستفتائهم في الموضوع بذكر خلافه مع قاضي توات عبد الله العصنوني .

واعتمدنا في ذكر تلك الآراء على كتاب المعيار المعرب للونشريسي الذي أعطانا صورة كاملة لتلك الردود.

أما المراجع التي اعتمدنا عليها تتمثل في مجموعة مؤلفات مبروك مقدم ، إضافة إلى كتاب النبذة لصاحبه عبد الحميد بكري كونه ابن المنطقة.

أما الرسائل الجامعية التي تناولت حياة الإمام كان لها النصيب الأوفر في رسالتنا بسبب التخصص في الموضوع، كرسالة إيسلي مقران بعنوان الفكر السياسي للمغيلي ، ورسالة المنهج الدعوي للإمام المغيلي للحاج أحمد نور الدين .إضافة الى موسوعات و معاجم حسب المجال المدروس.

ومن الصعوبات التي واجهتناأثناء إعداد هذا البحث هو عدم القدرة على التنقل إلى منطقة توات للوقوف على الآثار المتبقية للإمام المغيلي .

إضافة إلى التضارب في التواريخ بين المصادر و المراجع مما يضعنا في إشكال سدّ الإبهام الحاصل .

أما الصعوبة الأكبر فكانت في مرحلة جمع المصادر و المراجع ، خاصة و أن هذا البحث يحتاج التدقيق و حسن اختيار المادة العلمية التي تخدم البحث وفق الرؤية المحددة له.

هذا ولا ندعي أننا استوفينا الموضوع حقه من جميع جوانبه ، فحسبنا أننا بذلنا جهدا ، فإن وفقنا فمن الله ، وإن أخطأنا فمن أنفسنا ، والله الموفق للقصد.

الفصل الأول :

ترجمة للإمام محمد بن عبد

الكريم المغيلي

1- نسبه و مولده و رأي أهل الفضل فيه:

الإمام محمد عبد الكريم المغيلي من القامات العلمية البارزة ، هذه الشخصيّة التي عُرِفت ببعدها الإصلاحي والتنظيري، استقطبت اهتمام الدارسين و الباحثين ، و أضّحت معْلماً حضاريا بارزا ، [1] ويمكن اعتباره واحدا من أبرز شخصيات القرن العاشر هجري، لما عُرف عنه من ثورة فكرية إصلاحية، امتدّ صداها على طول الساحل الإفريقي، ليصل أدغال إفريقيا مرورا بمنطقة توات التاريخية محلّ إقامته النهائية و مثواه الأخير. [2]

أ- نسبه :

هو محمد بن عبد الكريم بن محمد بن عمر بن مخلوف بن علي بن الحسن بن يحيى بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد القوي بن العباس بن عطية بن مناد بن السري بن قيس بن غالب بن أبي بكر مكررة ابن عبد الله ابن إدريس ابن إدريس الأصغر بن عبد الله الكامل ابن الحسن المثنى ابن الحسن السبط بن فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. [3]

ويذكر الدكتور مقدم مبروك شجرة أخرى للإمام المغيلي وجدها بخزانة الشيخ عبد القادر سيدي سالم المغيلي ونصهاّ:

" الحمد لله وحده وبعد ، فاعلم أيها الواقف على عمود نسب القطب الرّباني و الهيكل الصمداني العلامة ، شيخ المشايخ سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني الشريف الحساني، فلاشك و لا ريب أنه شريف وأبناؤه شرفاء ، وهذا النسب زاد فيه الجد الثامن للشيخ وهو:أسنادور

---

1 - الصديق حاج أحمد آل المغيلي ، **الامام محمد بن عبد الكريم المغيلي** ،مقال ، مجلة رسالة أدرار ، الجزائر ،العدد1، 2011 ، ص 31.

2 - أحمد أبا الصافي جعفري ، **أبحاث في التراث** (من تاريخ توات)، جامعة أدرار ، 2008، ص04.

3 - حاج أحمد نور الدين ، **المنهج الدعوي للامام المغيلي** (من خلال الرسائل التي بعثها للملوك و الأمراء و العلماء)، رسالة ماجستير في الشريعة الاسلامية ، إشراف الدكتور مولود سعادة ، كلية العلوم الاجتماعية و العلوم الاسلامية ، جامعة الحاج لخضر، باتنة ،2010-2011 ،ص26.

فهو:" الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم بن عمر بن مخلوف بن علي بن الحسن بن يحى بن أسنادور بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد القوي بن العباس بن عطية بن مناد بن السري بن قيس بن غالب إلى آخر السلسلة . [1]

ويعتبر الامام محمد بن عبد الكريم المغيلي العالم رقم عشرون في سلالة المغيلي ، و التي تبتدئ بإلياس المغيلي الذي شارك طارق زياد في فتح الاندلس.[2]

ب- مولده :

ولد الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي في قرية المغيلة [3] بتلمسان [4]. و لُقِّب بالمغيلي نسبة لها

1- مبروك مقدم، **الشيخ محمد بن عبد الكريم و أثره الإصلاحي بإمارات و ممالك إفريقيا الغربية خلال القرن الثامن والتاسع والعاشر للهجرة** ،ج1 ،ط2 ، دار الغرب للنشر والتوزيع ، 2002 ، ص 49.

2- خالدي مسعود ، **محمد بن عبد الكريم المغيلي و دوره الاصلاحي في السودان الغربي** ،مقال ، مجلة كان ، العدد 26، 2014 ،ص18.(رقمية).[نلاحظ هناك ارتباك في اعتبار أصل هذا الشخص حسنيا لأنه لو صحّ ذلك فلا يمكن أن يكون قد شارك طارق بن زياد في فتح الاندلس فالثابت تاريخيا أن اول من دخل المغرب من الاسرة الحسنية هو إدريس].

3 - يذكر الدكتور مبروك مقدم مكان مولد المغيلي بمدينة مغيلة التابعة لبلدية و دائرة مغيلة ، ولاية تيارت حاليا، أنظر :مبروك مقدم ، **الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ودوره في تأسيس الإمارات الإسلامية بإفريقيا الغربية خلال القرن 9 هـ-15م** ، دار الغرب للنشر و التوزيع ، وهران 2006 ، ص27.

- ومغيلة اسم يطلق على جبل وانشريس ، و تطلق كذلك على جماعة من قبيلة مختلطة من عرب المغرب ، وتسمى هذه الجماعة جماعة مغيلة ،أنظر:أبي القاسم محمد الحفناوي بن أبي القاسم الديسي ، **تعريف الخلف برجال السلف** ، مطبعة بيير فونتانة الشرقية ، الجزائر ،1906 ،ص579.

-و يذكر الدكتور إيسلي مقران أن قبيلة مغيلة غرب تلمسان قبيلة أمازيغية، أسّسها الرومان على قمة جبل من الجانب يطل على فاس، أنظر: إيسلي مقران ، **الفكر السياسي عند المغيلي** ، رسالة دكتوراه في الفلسفة، إشراف الدكتور عمار الطالبي ،كلية العلوم الاجتماعية ، قسم الفلسفة ،جامعة الجزائر2 ،2011-2012 ،ص81.

-أما عادل نويهض في معجمه ذكر أن مغيلة قبيلة من البربر (أنظر: عادل نويهض ، **معجم أعلام الجزائر** (من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر) ،ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للنشر ، لبنان ، 1980، ص308.

4 - عبد الحميد بكري، **النبذة في تاريخ توات وأعلامها**، ط1 ، دار الهدى، الجزائر ، 2005، ص78.

أي للمكان و ليس للقبيلة ،[1] في بيت عريق عُرف بالحسب و النسب و الجاه و الدين .[2]

وعن تاريخ مولده صمتت المصادر التاريخية عن ذكره ، وحتى التي ذكرته فقد اضطربت في تأكيده ، فالبعض ذكر أنه ولد عام 790هـ ،ويبدوا من خلال تاريخ وفاته المتفق عليه بين المؤرخين سنة 909هـ ،أن هذا التاريخ الخاص بميلاده لا يطمئن إليه الباحث ولا يخلُد إليه الناظر. [3] ، حيث حاول بعض الباحثين إيجاد تفسير لعدم صحة تاريخ مولده، ومنهم حاج أحمد نور الدين، الذي يرى في افتراض صحة ميلاده سنة 790هـ يعني أن المغيلي كان عمره حينما قاتل اليهود في المرة الثانية عام 902هـ-1496م، قد تجاوز المائة ، و معلوم أنه قام بقيادة جيشه بنفسه -كما سنرى في الفصل الثالث- و رجّح أن يكون مولده عام 820هـ-1417م حسب رأي القاضي المكناسي في كتابه تاريخ الوفيات[4] وهو ما اطمأن له أيضا عبد الحميد بكري في النبذة. [5]

أما الأستاذ مبروك مقدم فيرى أن أغلب التواريخ المذكورة سابقا مجرد تخمينات ، لا تعتمد على قاعدة أو وثيقة واضحة، لذلك رجّح تاريخ مولد الامام بسنة 831هـ الموافق لسنة 1427م ، حيث

---

1 - حاج أحمد نور الدين، المرجع السابق، ص 27.

-و هناك رواية أخرى ذكرها الدكتور خدير المغيلي ، سمعها عن أجداده تقول: "أن المغيلي نسبة الى الجدّ الأول مؤسس القبيلة ، اسمه مغيل بدون ياء وليس نسبة الى اسم قبيلته ، باعتبار أن المغيلي حين تصريفها لا توافق صيغتها الصرفية صيغة لفظ قبيلة ،فلو كان المغيلي نسبة للقبيلة لجاءت مغَلَى، ولذلك كنية المغيلي نسبة للجد الأول : المغيل وهو ما يراه الدكتور أقرب الى الصواب والحقيقة ، أنظر: خدير المغيلي، **مخطوط فاتحة الكتاب للامام محمد بن عبد الكريم المغيلي من تح صيل البداية الى التحقيق والنهاية**، مقال ، دورية رفوف ،جامعة أدرار ، عدد 3 ، 2013 ، ص275 .

2 - إيسلي مقران ،المرجع السابق ، ص81.

3 - الصديق حاج أحمد آل المغيلي ،**الشخصيات العلمية**، مقال، مجلة : أدرار واحات الفن و قصور الأمان ، أدرار ، 2013، ص82 .

4 - حاج أحمد نور الدين، المرجع السابق، 27 .

5 - عبد الحميد بكري ، المرجع السابق ، ص78.

يقول أن اعتماده لذلك جاء نتيجة تتبع ه لحركات وتحولات ومقار نة الأحداث التي عاشها الامام المغيلي .[1]

ج- كلام أهل الفضل عنه:

كانت حياة الامام محمد بن عبد الكريم المغيلي كلها نفع وخير للاسلام و المسلمين، ونصرة للمساكين وإرساء و تثبيت لأسس قواعد الدين، و عينا ساهرة لحماية الاسلام و مبادئه، والذود عنه وإعلاء كلمته ، وشمسا مشرقة على ظلام أهل الخرفات والبدع و السحر و النفاق و الكذب على الدين، شهد له بهذا الفضل أهل الصلاح و المصلحين و العلماء الربانيين المخلصين ،[2] ومن بينهم :

أحمد بابا التنبكتي حيث قال في تعريفه لشخصية الامام:(خاتمة المحققين الإمام العلم العلامة الفهامة القدوة الصالح السني، أحد الاذكياء ممن له بسطة في الفهم و التقدم ، متمكّن المحبة في السنة وبغض أعداء الدين...). [3]و يضيف أحمد بابا التنبكتي في كتابه كفاية المحتاج :(كان مقداما في الأمور جسورا، جريئا فصيحا،نظارا، محققا...) .[4]

1- مبروك مقدم ، **الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي إسهاماته في نشر الثقافة الاسلامية في إفريقيا الغربية** ،دار الغرب، وهران، 2000، ص30.

2- محمد سالم ، **تأثير الأزمات التاريخية و الإقليمية في حياة الشيخ العلامة محمد بن عبد الكريم المغيلي** ،مخطوط ،الجزائر ،(د.ت) ، ص14.

3 - أحمد بابا التنبكتي، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج** ،تق:عبد الحميد عبد الله الهرامة ، ج1-2، ط1، منشورات كلية الدعوة الاسلامية ،طرابلس ، 1989م ، ص576 . وهو مانقله عنه كل من : أبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الملقب بابن مريم الشريف، **البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان** ، راج: محمد بن أبي شنب ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1986، ص253.برهان الدين إبراهيم ابن علي بن محمد بن فرحون، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب** ،ط1، 1229 هـ، ص330. الحفناوي ، المصدر السابق ،ص 167 .

4 - أحمد بابا التنبكتي ، **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج** ، ج2، تح: محمد مطيع ، مطبعة فضالة، المغرب، 2000، ص214.

وقال عنه ابن القاضي في درّة الحجال (الرجل الصالح). [1]

أما ابن العسكري الشفشاوني فيصفه : (بالشيخ الفقيه الصدر الأوحد...كان من أكابر العلماء و أفاضل الأتقياء ،وكان شديد الشكيمة في الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ...).[2]

وقال عنه صاحب شجرة النور الزكية بن مخلوف: (خاتمة الأئمة المحققين و العلماء العاملين مع البراعة والتفنّن في العلوم و الصلاح و الدين المتين).[3]

وقال عنه صاحب الرحلة العياشية (رجل دمث الأخلاق ،طيب الأعراف)[4].

وهذا كبير علماء تلمسان في وقته محمد بن يوسف السنوسي يعترف له بالفضل حيث يقول : (الأخ الحبيب القائم بما اندرس في فاسد الزمان من فريضة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر التي القيام بها سيما في هذا الوقت ، عمل على الإتسام بالذكورة العلمية و الغيرة الاسلامية و عمارة القلب بالايمان...) .[5]

---

1 – أبي العباس أحمد بن محمد المكناسي ابن القاضي ،**درّة الحجال في أسماء الرجال** ، تح: محمد الأحمدي أبو النور،ج2، ط1، دار التراث، القاهرة، 1971،ص285.

2 – محمد بن عسكر الحسن الشفشاوني ، **دوحة الناشر لمحاسن من كان بال مغرب من مشايخ القرن 10هـ**، تح: محمد حجي، ط2، دار الغرب ،الرباط ،1977،ص130.

3 – محمد بن محمد بن مخلوف، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية** ، ج2،المطبعة السلفية ، القاهرة ،1349 هـ، ص274.

4 – أبوسالم عبد الله محمد العياشي، **الرحلة العياشية** ، ،تح: سعيد الفاضلي و سليمان القرشي، ج 1 ، ط1، دار السويدي، الامارات العربية المتحدة، 2006، ص120 .

5 –أحمد بابا التمبكتي ، **نيل الإبتهاج** .المصدر السابق ، ص 576.

نعته الشيخ أبو عبد الله بن غازي[1]،بالغريب في هذا الجيل[2]، أي أنه لاينتمي إلى عصره أو سبق زمانه لأنه عنيد في مبادئه، متحمس لآرائه، خاصة مايتعلق بالقضايا المصيرية للأمة الاسلامية .[3]

وينقل لنا الاستاذ الحاج أحمد نور الدين رأي الشيخ عثمان بن فديو من كتابه "فتح أفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور قائلا ": (كان فقيها حافظا أصوليا و محدثا، فرضيا، محققا كبيرا ،نقادا مؤلفا، قدوة نبيها مجتهدا، عارفا بالقرآن ،مضطلعا في الأدب، صوفي المسلك، متخلقا بأخلاق الصالحين، و كان آية الله في تحقيق العلوم، بالاطلاع المفرط و الباع الطويل في علم المعقول و المنقول ،و السهر على تحصيل القبول).[4]

أما الاستاذ محمد سالم فأورد لنا عدّة آراء لشيوخ آخرين أمثال تلميذ الإمام المغيلي الشيخ عثمان بن عمر بن فودي الفولاني السكطي الذي قال عنه :(كان آية في تحقيق العلوم باطلاعه المفرط، و باعه الطويل في المعقول و المنقول ،و السهر على تحصيل الفنون، و كان لا يُجارى في علم الفقه، رئيسا في التفسير، مقدّما في الحديث).

ورأي الشيخ محمد بن الشيخ سيد المختار الكنتي في "سلسلة الأشياخ" بقوله: (العلامة التحرير الفهامة ،ذو الخوارق المتواترة ،و الحقائق المتوافرة).

ونقل لنا تقيدا للعلاّمة أبو اسحاق إبراهيم بن هلال السجلماسي على كتاب مصباح الأرواح للإمام المغيلي، يصف الكتاب و مؤلفه الذي قال: (طالعت هذا التأليف المسمى مصباح الأرواح في أصول الفلاح، فوجدناه تأليفا مشتملا على تحقيق علوم الشريعة وأصول الدين ، و أبرزها لبصائر

1 – سيأتي تعريف لشخصية إمام الجماعة الشيخ أبو عبد الله بن غازي و معظم هذه الشخصيات في مبحث علماء عصر المغيلي.

2 – الشفشاوني ، المصدر السابق ،ص 131.

3 – حاج أحمد نورالدين ، المرجع السابق ، ص43.

4 – نفسه ، ص43.[نظرا لتعذر الحصول على هذه المخطوطات و المصادر نقلناها عن بعض المراجع].

القلوب ، بطريقٍ بديع لطيف من به في هذا الزمان العسير المظلم ، مولانا العليم الخبير الملك المبين، و رأيته كاملا عاليا، لايُتصورُ إلاّ من قلب مستنير بأنوار الولاية والمعارف الدينية ، و المواهب القدسية ، و الحِكم الربانية ، مع مشاركة صاحبه لعلماء الظاهر في التبحر في علميّ المعقول و المنقول).[1]

أما صاحب القول البسيط في أخبار تمنطيط المعروف باسم بابا حيدا قال عنه:(...وهو مشهور بالعلم الظاهر و الولاية الباطنة ،و هو آية الله في أرضه ،و حجه في شريعته).[2]

وفي تعريف مختصر للزركلي قال عنه: (الإمام المغيلي مفسر و فقيه من أهل تلمسان ، اشتهر بمناوأته لليهود).[3]

و من الكُتاب المعاصرين الذين أعجبوا بشخصية الإمام المغيلي، الشيخ عبد الرحمن الجيلالي الذي اعتبره أحد أعلام الجزائر و أبطالها الشجعان في فاتحة القرن العاشر الهجري.[4]

و من أحفاد الإمام المعاصرين الأستاذ عبد الله كروم قال عنه: (هو جدنا العالم الجليل و المربي الشهير والمجاهد الكبير، ناشر العلم و الاسلام في توات و افريقيا الغربية ، تميزت حياته بالدعوة والاصلاح و الجهاد ، وصال و جال مدافعا عن الاسلام بقلمه و لسانه و سيفه. [5]

و وصفه محقق كتابه أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي الأستاذ عبد القادر زبايدية أنه:

---

1 – محمد سالم ، المرجع السابق ، ص22 –23.

2 – محمد الطيب ابن بابا حيدا التمنطيطي، **القول البسيط في أخبار تمنطيط** ، تح : فرج محمود فرج ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر،1997 ،ص31

3– خير الدين الزركلي ، **الأعلام** (قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب و المستعربين و المستشرقين) ،ج 6 ، ط15 ،دار العلم للملايين ، لبنان ،2002 ، ص 216.

4 – عبد الرحمن الجيلالي ، **تاريخ الجزائر العام** ، ط7، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1994 ، ص171 .

5 – عبد الله كروم، **الرحلات بإقليم توات** (دراسة تاريخية وأدبية للرحلات المخطوطة بخزائن توات)، دار النشر دحلب ، الجزائر، 2006 ، ص54.

(من المثقفين و أولي الفكر في عصره، له شخصية قوية استطاع بواسطتها التأثير على الناس في السودان ، فأصبح اسمه مقرونا لديهم بكلمة الإمام ،أما بالنسبة للوضع في المغرب العربي فقد كان المغيلي من أولئك القلائل الذين شهّروا صراحة بانحراف المسؤولين به، وتوانيهم عن القيام بواجباتهم ، فنبّه إلى الخطر الذي ربما ستؤول إليه أوضاع بلدان المغرب في حالة استمرار الحكام فيها على سيرتهم ، و فعلا فقد هاجم الإسبان و البرتغال بلاد المغرب بعد ذلك بقليل كما هو معروف). [1]

و في خلاصة للدكتور إيسلي مقران عن شخصية الإمام المغيلي قال: (كان رحمه الله ذائع الصيت لا يخاف في الحق لومة لائم ، و لا صولة ظالم في المجاهرة بالحق والأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، كما عُرف بتفانيه في خدمة الشريعة الاسلامية و الدعوة إليها في أي مكان حل به، بنشر كلمة التوحيد و إصلاح أمر المسلمين وبيان أحكام الشريعة و قواعدها ، و لم يكن مجاملا للحكام فيما يتنافى و تعاليم الشريعة، بل كان شديد اللّهجة جلد الموقف ، و كان نافذ البصيرة قوي الحدس السياسي ،يحمل همّ الاسلام و مصير الامة الاسلامية، و كان متّصفا بأخلاق جمّة ، عَلَمًا يُهتدى به في التقوى و الزهد ، و إماما يقتدى به في العلم و العمل، كما كان له باع كبير في الصبر و علوّ الهمّة في طلب العلم . [2]

1 – محمد بن عبد الكريم المغيلي ،**أسئلة الأسقيا و أجوبة المغيلي** ، تح : عبد القادر زلبيدية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974 ، ص08.

2 – إيسلي مقران ، المرجع السابق، ص84 .

2- نشأته:

نشأ الإمام المغيلي في أحضان عائلته المشهورة بالعلم و التقوى و التصوف [1]، حيث ظهر فيها العديد من العلماء.[2]

أ- رحلاته العلمية:

بدأ دراسته الأولى بمسقط رأسه المغيلة [3]، و مغيلة مشهورة تاريخيا بعلمائها و فقهائها و محدّثيها ، فتلقّى تعليمه الأول على أيدي مشايخ أجلاء منهم: محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي المدعو الجلاب ، فحفظ على يديه القرآن الكريم في سنٍّ مبكرة على عادة أبناء المسلمين آنذاك [4] ، كما أخذ عنه مبادىء الفقه و أمهات الكتب الفقهية للمذهب المالكي كرسالة و مختصر خليل...[5]

عكف بعدها على دراسة العلوم العربية الاسلامية اللغوية و الدينية و العقلية و النقلية ،الشيء الذي دفعه إلى مغادرة تلمسان باتجاه مدينة بجاية ، إذ كانت آنذاك مركزا ثقافيا يعجّ بالطلبة الوافدين

---

1 – التصوف: انقسم رجال الطرق الصوفية حول أصل كلمة التصوف ، فمنهم من قال أنّ الصوفية مشتقّة من الصوف بوصفه اللباس الغالب على هؤلاء المتصوفة ، وآخرون يرون أنها مشتقّة من دار الصفة وهي الصومعة التي يأوي إليها جماعة من فقراء المسلمين للاعتكاف و العبادة ، ومن قال أنها من الصفاء ، وهناك من قال أنها مشتقّة من الصف...،أنظر: محمد الصالح حوتية، **توات و الأزواد** (خلال القرنين 12 و 13 للهجرة، 18 و19 ميلادي ، دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية)،دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007، ص175 .

– وعرّفه ابن خلدون :أنه العكوف على العبادة والانقطاع الى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا و زينتها، و الزهد فيها مما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه ، والإنفراد على الخلق والعبادة في خلوة... ، أنظر:عبد الرحمان ابن خلدون ، **مقدمة ابن خلدون** (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، مرا :خليل شحادة و سهيل زكار ،دار الفكر ،لبنان ، 2001 ،ص 611.

2 – حاج أحمد نور الدين ، المرجع السابق، ص27.

3 – عبد الحميد بكري ،المرجع السابق،ص79.

4 – إيسلي مقران ، المرجع السابق ، ص81.

5 – مقدم مبروك ، **الامام المغيلي وأثره الإصلاحي**...، المرجع السابق، ص49.

إليها من كلّ جهة، فأخذ الحديث (موطأ الإمام مالك) عن الإمام سعيد المقرّي، و علوم العربية من الإمام يحي بن يدير.

تعتبر رحلته إلى مدينة بجاية أول رحلة يقوم بها المغيلي في طلب العلم ، و ذلك للإستزادة و التمكن منه، واكتساب معارف جديدة، والتّتلمذ على يد المشايخ مباشرة ، [1] فأجاد عدّة فنون ،ساعده في ذلك ذكاءه المفرط و نيّته الصالحة و مكارم أخلاقه. [2]

ويعد الإمام المغيلي رحّالة بامتياز، [3] فلم يبقى بمدينة بجاية كثيرا ، وخرج منها قاصدا جزائر بني مزغنة، مدركا من بعض زملائه الطلاب شهرة مدرسة إلامام عبد الرحمان الثعالبي. فنزل عنده لطلب العلم و المعرفة، و مكث لديه مدة من الزمن، يأخذ عنه علم الحديث والتفسير و القرآن و علم التصوف. [4]

فنمَّا اتصاله بالعالم عبد الرحمان الثعالبي في نفسه بذور الصوفية، [5] ولما رأى هذ الأخير في شخص المغيلي الذكاء و الفقه و الشجاعة ، قرّبه إليه و زوّجه ابنته زينب ، وهذا لدليل على مكانة المغيلي وحظوته لدى شيخه عبد الرحمن الثعالبي، [6] و كان ذلك سنة 875هـ. [7]

---

1 – حاج أحمد نور الدين ، المرجع السابق ،ص27 .

2 – مقدم مبروك ، **الامام المغيلي ودوره في تأسيس الامارات**...، المرجع السابق ،ص27.

3 – عبد الله كروم ، المرجع السابق ،ص53 .

4 – حاج أحمد نور الدين ، المرجع السابق ، ص28 .

5 – مبروك مقدم ، **الامام المغيلي ودوره في تأسيس الامارات**...، المرجع السابق، ص27 .

6– مبروك مقدم ، **الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال المصادر و الوثائق التاريخية** ، ط1، مؤسسة الجزائر للطباعة والنشر و التوزيع، الجزائر ، 2002، ص 42 .

7 – مبروك مقدم ،**الامام المغيلي ودوره في تأسيس الامارات**....، المرجع السابق ،ص27.

أنجب الإمام المغيلي من زينب ابنة شيخه الثعالبي ثلاثة أولاد هم:

– عبدالله وهو ابنه الأكبر عاش بعده و أنجب ولدين هما: أبوالقاسم محمد، و عبدالرحيم، ومنهما انحدر معظم سكان توات.

– عبد الجبار،وقد تزوج هو الآخر و أنجب، ولكنّهم ماتوا صغارا ،أما هو فقد قتله اليهود بتمنطيط.[1]

– علي وهو أصغر أبنائه، توفي بأولاد سعيد (نواحي تيميمون).[2]

وتزوج المغيلي ثانية عندما كان بكانو في السودان الغربي، و أنجب أحمد و عيسى.[3]

ويذكر حاج احمد نور الدين أن للمغيلي إبنة لم تذكرها المصادر ، حينما حاول اليهود قتلها بعد مقتل أخيها عبد الجبار ، فافتداها أهل أولاد سعيد بإبنة أحد الأعيان .[4]

1 – سيتمّ التفصيل في مقتل عبد الجبار ابن الامام في الفصل الأخير .

2 – سيتم تعريف معظم المناطق في الفصل الثالث.

3 – إيسلي مقران، المرجع السابق ،ص82 .

4 – المعلومة من كتاب :"ذاكرة الماضي في تاريخ أولاد القاضي" لعبد الرحمان بن عبد الحي الجوزي (معدّ للطبع) ، وسيتم التفصيل في هذه الحادثة في الفصل الثالث ، أنظر : حاج أحمد نور الدين ،المرجع السابق، ص40.

لم تتوقف علاقة الإمام المغيلي بشيخه الثعالبي عند حدّ المصاهرة فقط ، بل سلّمه لواء الدعوة إلى الله باسم الطريقة القادرية .[1]

وأمره بنشرها في الأماكن التي يذهب إليها، وأوصاه عند رحيله (بأن لايعاشر أهل سفاهة،وأن لايستوطن مكان إهانة).[2]

1 – **الطريقة القادرية:** تنسب إلى الشيخ محمد بن محي الدين عبد القادر بن أبي صالح ، المولود بمدينة جيلان في مارس470هـ-1077م ،و الذي جاء الى بغداد عام 488هـ-1095م ،و درس مذهب الامام ابن حنبل ، ثم انضمّ إلى مدرسة الشيخ أحمد الغزالي. قضى عبد القادر الجيلا ني 25عاما يتجوّل في صحراء العراق حتى صار من أشهر علماء بغداد ، و كان يلبس لباس العلماء و المتصوفة، اشتهر بورعه وتقواه ،ولكن لم ينضم أحد إلى طريقته طوال حياته، وبعد وفاته بدأ الناس يسيرون على نهجه ، ونشر أبناؤه مذهبه. ثم انتشر في أجزاء كبيرة من العا لم ...،أنظر: أحمد شبلي ، **موسوعة التاريخ الاسلامي و الحضارة الاسلامية** ،ج6، ط2، ،مكتبة النهضة، (د.م) ، 1983، ص211 .

ويعود أول اتصال للطريقة القادرية بالمغرب الأوسط الى عودة أبي مدين شعيب من المشرق و استقراره ببجاية ، في النصف الثاني من القرن 6هـ-12م، بعد أن التقى في مكة بعبد القادر الجيلا ني ، ولبس منه الخرقة ،وبثّ فيها كثيرا من أسراره الصوفية، أنظر محمد مخلوف ، المصدر السابق، ج1، ص، 164.

ومن المبادىء العقدية للطريقة القادرية :الإلتزام بالقرآن و السنة، و الرضا بالقدر و تجريد التوحيد ،و اتحاد الظاهر و الباطن، أي الايمان و العبودية، و التحري في اتهام المسلم في دينه ،والصدق و الكسب الحلال ...،أما الطقوس الجماعية و ترتيبات الإنتساب فتتمثل في أوراد وأذكار يلتزم بها المريدون عند لقاء الشيخ أول مرّة، فيشرع في الصلاة ركعتين و قراءة الفاتحة ،وتتضمن الاستغفار و التوبةو الطاعة و الذكر بتردد: "لاإله إلا الله" ثلاث مرات ،و العهد و هو صيغة الالتزام بالشروط ، و مبايعة بين المريد و الشيخ بصيغة آية البيعة ،ثم يتناول المريد كأس الماء من يد الشيخ مع قراءة الفاتحة و الاخلاص ،وبعدها يلازم المريد الشيخ ، فيسلُك به الطريق مرحلة بمرحلة ، حتى يصبح شيخا ،فيجيزه وينقطع عنه، عندئذ يتولّاه الله... ،أنظر: الطاهر بونابي،**الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين** (8 و9هـ-14 و15م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الاسلامي الوسيط ،إشراف الدكتور عبد العزيز فيلالي،قسم التاريخ،جامعة الجزائر،2008-2009،ص543 .

2 – مبروك مقدم ،**الامام المغيلي من خلال المصادر و الوثائق**، المرجع السابق،ص،42 .

ولم تقتصر رحلات المغيلي على الجزائر ، بل ارتحل إلى تونس، وأقام بها شهرين ، ثم اتّجه إلى القاهرة ، فحجّ منها وعاد إليها ، ثمّ سافر إلى الشام وزار القدس ، وتزاحم عليه الناس بدمشق حين علموا فضله ...[1].

وعندما توسّعت مداركه و معارفه، و تزود بما يكفيه،تصدّى هو الآخر للتدريس ،كشيخ وأستاذ، وتتلمذ على يديه عدد لابأس به من العلماء و الشيوخ.[2]

فكانت البداية في تلمسان ثم توات ثم زار فاس [3]،ثم كان الانتقال إلى غرب إفريقيا حيث استطاع و في مدة قياسية أن يسجّل اسمه في ذاكرة ا لسودانيين ،ابتداء من القرن العاشر وحتى يومنا هذا. فانتقل بين مدن وقرى إفريقية بعيدة ومنتشرة في كامل ربوع الغرب الافريقي نذكر من ذلك مثالا لا حصرا:(أهرا ،تكدة،أقادس ،التي أسّس بها مسجد الكرامة ،كشنا ،كانو، سنغاي...)[4] .

لقد تمكّن الامام المغيلي طيلة هذه الرحلة من مقابلة و محاورة عدد من الأمراء و الملوك في شتّى العلوم و المعارف ،خصوصا مع الأمير يني محمد بن يعقوب رونقا حاكم مملكة كانو [5] (1463-1499م)،من روّاد انطلاق الدعوة الاسلامية و المصلحين الاجتماعيين، تولّى المغيلي لديه منصب المستشار الديني و القاضي الشرعي، و نهض أثناء إقامته بكانو بتأليف كتابين ذاعت شهرتهما وهما:

---

[1] – نقلا عن الضوء اللامع للسخاوي ،ج 10، ص740، أنظر تحقيق كتاب دوحة الناشر للشفشاوني، المصدر السابق ، ص 130.

2 – حاج أحمد نور الدين ،المرجع السابق ،ص28 .

3 – سيتمّ التفصيل في رحلة الامام إلى توات في الفصل الثالث.

4 – لمزيد من المعلومات حول المناطق التي زارها الامام المغيلي في السودان الغربي أنظر: مجموعة كتب مبروك مقدم.

5 –كانو: تأسست في القرن10م، تقع على طريق القوافل المجتازة من المغرب العربي إلى المشرق .أول ملوكها كان بغودة بن ياو بن يزيد. دامت أسرته في الحكم 140سنة و يعتبر البطل الذي يرجع اليه أصل ملوك الهوصا السبع ، أنظر: مبروك مقدم، **الامام المغيلي و دوره في تأسيس الامارات** ... ، المرجع السابق ، ص33 .

تاج الدين فيما يجب على الملوك..و جمل مختارة ...، [1] و كذا الأمير الحاج محمد أسكيا حاكم مملكة سنغاي [2] ، الذي أعلن جهاد الاصلاح الديني على مملكة موسى المجاورة ،و مدّ نفوذ دين الاسلام إليها ،و بوصول الامام الفقيه المغيلي إلى تلك الامبراطورية، قام بناء على طلب الأسيكا محمد بتأليف كتاب يحتوي على نصائح حول الطرائق المثلى لإدارة الدولة الاسلامية على هدى القرآن و السنة، يعتمد عليه هو و غيره من الملوك المسلمين في السودان الغربي، لإدارة دولهم. [3]

رحل المغيلي أيضا إلى بلاد التكرور(مالي) ،ينشر أحكام الشرع و يحضّ على الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر. [4]

ولعل ما يمكن استخلاصه من علاقة الامام المغيلي بهؤلاء الحكام ،هو منهجه في التعامل القائم على عنصر الحوار، الذي يعدّ مفتاح الشخصية المغيلية . [5]

ب – مؤلفاته :

اهتم المغيلي بالتأليف، و خلّف ذخيرة علمية معتبرة في مختلف العلوم من التفسير و الحديث و النحو والبلاغة و المنطق و السياسة ...،ساهم بها في تنشيط عجلة التأليف و التدوين في عصره ،بل

1 – عثمان برايما باري، **جذور الحضارة الاسلامية في الغرب الافريقي** ،ط1 ،دار الامين ،مصر ،2000، ص89 .

2 – سنغاي :نسبة الى قبيلة سنغاي التي كانت تسكن النيجر حول الغابات الاستوائية في سنوات الميلاد ، ثم بدأت تنتقل نحو شمال النيجر،أنظر: عبد القادر زبايدية، **مملكة صنغاي في عهد الاسقين**، الجزائر، 1989 ،ص46.

3 – عثمان برايما باري ، المرجع السابق، ص1-2 .

4 – الزركلي ، المصدر السابق ،ج 6 ،ص216 . عادل نويهض ، المرجع السابق،ص308. عبد الله مرابط الترغي ,**فهارس علماء المغرب** (منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة)،ط 1 منشورات كلية الآداب و العلوم الانسانية ، تطوان،1999 ،ص،626.

5 – أحمد أبا الصافي جعفري ، المرجع السابق،ص19.

نال فضل السبق في بعض العلوم عندما وضع أرجوزة في المنطق . فانتشرت مؤلفاته عبر الأقطار و الأمصار كالمغرب، تونس، السودان الغربي، تركيا ،الصحراء الكبرى...[1]

وقد عدّ له الأستاذ مبروك مقدم سبعة و أربعين مؤلفا بين مخطوط و مطبوع، وأغلبها متواجدة حاليا في خزائن توات [2]، وقام الدكتور إيسلي مقران بتصنيفها كما يلي :[3]

أولا: في اللغة و الأدب :

مجموعة قصائد شعرية ذات أغراض سياسية، أغلبها في ذمّ يهود توات وأنصارهم، وما هم عليه من سوء الأفعال مطلعها :

تنبّه فإن الله منك بحرصه ولّى أنـصـار محـمد

أو ذات أغراض اجتماعية كقصيدته :

صفة أهل الجهل في هذا الزمان الترك للحق و قلة الأمـــان

إذا دُعو للحق و العبـــــــادة قالوا بلى طريقنا بالعـتـادة

ويُسمح الجور من أهل الفضل ويُبغض الحق من أهل العلم

والأمر بالمعروف عندهم غريب و اتباع السنة عندهم معيب

وكتب في مدح الرسول صلى الله عليه و سلم ، قصيدة الميميّة:

بشراك ياقلبي هذا سيد الأمـــم وهذا حضرة المختار في الحرم

وهذه الـروضة الغراء طاهـــــرة وهذه القـبة الخضراء كـالعلـم

ومنبر المصطفى الهادي وحجرته وصـحبة وبـقيع دائر بهـم [4]

---

1 – إيسلي مقران، المرجع السابق ،ص87.

2 – مبروك مقدم ،**الإمام المغيلي وأثره الاصلاحي**... ، المرجع السابق ،ص ص 303-305 .

3 – إيسلي مقران ، المرجع السابق ،ص ص 87-100.

4 – نفسه، المرجع السابق، ص 88 .

شرح تلخيص المفتاح واختصره في كتاب" تلخيص المفتاح للقزويني" وهو كتاب في البلاغة. [1]

ثانيا: التاريخ و التراجم :

لم يعنَ المغيلي بهذا المجال عناية كبيرة، وله مؤلف واحد يعدّ مفقودا لحدّ الآن ، و ورد ذكره فيمن ترجم له، تضمّن طرق التدريس وأخبار عن شيوخه. [2]

ثالثا: في الفلسفة و المنطق:

له سبعة كتب ، إعتنى المغيلي بهذا العلم لإدراكه أهميته في فهم الشريعة ،و لاسيما في مجال العقيدة، ومن هذه الكتب: منح الوهاب في رد الفكر الى الصواب (مشهور برجز المغيلي) ،شرح منح الوهاب (عمد فيه الى شرح أرجوزته) ،فضل الخطاب في رد الفكر الى الصواب (يتكلم فية عن أصول المنطق)، الفهرس في المنطق، المقدمة في المنطق ، هبة الكريم.[3]

وعن المناظرة الشهيرة بين الإمام المغيلي و الإمام السيوطي في المنطق، تكاد معظم المصادر تذكرها وملخصها: إلتقاء العالمين في السودان الغربي [4] حيث انتصر فيها المغيلي برأيه، وبيّن أن المنطق أداة تعصم الفكر من الخطأ و الزوال، أما السيوطي فكان من المناهضين للمنطق القائلين بتحريمه، وأنكر على المغيلي تعليمه، فكتب إليه المغيلي قصيدة يتعجب فيها من موقفه جاء في أولها :

سمعت ماسمعت بمثلـــــه وكل حديث حكمه حكم أصله

أيمكن أن المرأ بالعلم حجة وينهى عن الفرقان في بعض قوله

---

1 – ابن مريم، المصدر السابق ،ص 255 .الحفناوي ، المصدر السابق،ص، 167 .محمد مخلوف ، المصدر السابق، ج1، ص274 .

2 – إيسلي مقران، المرجع السابق ، ص89.

3 – نفسه ، ص91.

4– يذكر الأستاذ الطيب الوزاني نقلا عن آدم عبد الله الآلوري أن هذه المناظرة بين العالمين تمّت بنيجيريا ، أنظر :الطيب الوزاني ،**مقومات التفاعل الثقافي و الحضاري بين دول غرب إفريقيا و المغرب الأقصى ،معالجة في التركيب** ،أعمال ندوة التواصل الثقافي و الإجتماعي و بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء ،مرا: عبد الحميد الهرامة ، كلية الدعوة الإسلامية ، ليبيا ،12-14 ماي 1998. ص 489.

هل المنطق المعني إلاّ عبارة عن الحق أو تحقيقه حين جهله

فردّ عليه السيوطي بقصيدة منها:

عجبت لنظم ما سمعت بمثله أتاني عن حبر أُقِرُ بنبله

تعجب مني حين ألفت مبدعا كتابا جموعا فيه جمّ بنقله

أقرّر فيه النهي عن علم المنطق وماقاله الأعلام من ذمّ شكله

سلام على هذا الامام فكم له لدي ثناء واعتراف بفضله [1]

رابعا:في الأخلاق و السير :

كتب :هداية الأسرار بلسان الأنوار، يدعوا فيه إلى التمسك بالقيم و الفضائل، و رسالة إلى كل مسلم ومسلمة و هي رسالة ينصح فيها المسلم اجتناب اليهود لسوء أخلاقهم. [2]

خامسا:في العقيدة و التصوف :

تنبيه الغافلين من مكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين .

سادسا:في التفسير وعلوم القرآن:

البدر المنير في علوم التفسير،وتفسير سورة الفاتحة .[3]

سابعا :في الفقه:

مغني النبيل في شرح مختصر خليل، وصل في شرحه الى القسمة بين الزوجات ، وإكليل المغنى، وهو حاشية على كتابه السابق، وهو قطع متفرقة ،منها مفتاح الكنوز.وألّف: الوجيز الكافي للرجل

1- أحمد بابا التنبكتي، **كفاية المحتاج** ، المصدر السابق ، ص274 . أحمد بابا التنبكتي ، **نيل الابتهاج** ، المصدر السابق،ص578. الحفناوي، المصدر السابق،ص170. ابن فرحون ،المصدر السابق ،ص 332 .[وتعدّ هذه المناظرة صورة واضحة للمنافسة العلمية النزيهة المحّلة بالإحترام].

2 - إيسلي مقران، المرجع السابق ، ص ص 90-93.

3 - أحمد بابا التنبكتي، **كفاية المحتاج** ، المصدر السابق ، ص 274 . أحمد بابا التنبكتي ، **نيل الابتهاج** ، المصدر السابق،ص578. الحفناوي، المصدر السابق،ص170. ابن فرحون ،المصدرالسابق ،ص 332 .

الزاكي، التاج الوحيد الكافي أو يسمى شرح خطبة المختصر. ومؤلف آخر يدعى إيضاح السبيل في بيوع أجال خليل،وإفهام الأنجال في شرح بيوع الآجال ، والمختصر في علم الفرائض ،والمفروض في علم الفروض. [1]

ثامنا:علوم الحديث:

مفتاح النظر في علوم الأثر و يسمى بالفتح المبين ، وعلوم السنة. [2]

تاسعا:في السياسة الشرعية:

أحكام أهل الذمة بإجابة من سأل: (مايجب على المسلمين من اجتناب الكفار وما يلزم أهل الذمة من الجزية و الصغار و هو المسمى بمصباح الارواح).[3]

وله تآليف في المنهيات، وهو مؤلف في حكم المفقود لكنه مذكور في المصادر[4] .

تاج الدين فيما يجب على الملوك و السلاطين من حسن النية للامارة، يعالج فيها مسائل الحكم و الادارة على ضوء القرآن الكريم و السنة النبوية.[5]

---

1 – أحمد بابا التنبكتي، **كفاية المحتاج** ، المصدر السابق ، ص 274 . أحمد بابا التنبكتي ، **نيل الابتهاج** ، المصدر السابق،ص578. الحفناوي، المصدر السابق،ص170. ابن فرحون ،المصدرالسابق ،ص 332 .

2 – مبروك مقدم ، **الإمام المغيلي من خلال المصادر** ...، المرجع السابق ، ص 71. الزركلي ، المصدر السابق ، ج 6 ، ص216. عادل نويهض ، المرجع السابق ، ص308.

3 – محمد بن عبد الكريم المغيلي ، **مصباح الأرواح في أصول الفلاح** ،تح :عبد المجيد خيالي ، ط 1، دار الكتب العلمية ، بيروت، 2001، ص70.(أوردها المحقق).

4 – أحمد بابا التنبكتي ، **نيل الابتهاج** ، المصدر السابق،ص578.

5 – عثمان برايما باري ، المرجع السابق ، ص89.

وأسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، الذي يعدّ من أهم ماكتب الإمام المغيلي.[1]

ورغم هذه المجموعة القيمة لمؤلفات الامام المغيلي إلاّ أنه لا يمكننا الجزم بعدم وجود أعمال أخرى، فهناك ما هو مفقود بحكم كثرة أسفار الامام، أو لاندثار بعضها بسبب عامل الزمن ،أو هناك ماهو مازال على رفوف الخزائن ينتظر من يحققها .

1 – محمد بن عبد الكريم المغيلي ، **أسئلة الأسقيا**...، المصدر السابق ، ص10.

3- علماء عصره :

أ- معاصروه: يعّد عصر المغيلي من العصور النيّرة حيث اشتهر به العديد من العلماء من بينهم:

محمد بن مرزق الحفيد (ت 842هـ-1438م)

الإمام المشهور العلامة الحجّة الحافظ المحقق الكبير الثقة الثبت النظار المصنف التقيّ الصالح الزاهد الورع البركة الخاشي لله ،الفقيه المجتهد الأبرع الأصولي المفسر المحدث الحافظ المسْندُ الرواية، الأستاذ المقرئ النحوي , اللغوي، العروضي ،الصوفي .....الآخذ من كل فن بأوفر نصيب ...، المتفق على علمه وصلاحه وهدية، مالكي الفقه من تآليفه: شرح البردة المسمى إظهار صدق المودة في شرح البردة، توفي بتلمسان يوم الجمعة، وصلي عليه بالجامع الأعظم [1].

أحمد بن عبد الرحمان الشهير بإبن زاغوا المغراوي التلمساني (ت 845هـ- 1441 م)

الشيخ العالم الفاضل، الولي الصالح الصوفي، الزاهد العلامة المحقق القدوة، المصنف الناسك، العابد،أخذ عن أبي عثمان سعيد العقباني ، وعن الشيخ العارف المفسر أبي يحي الشريف وغيرهما ، له تآليف كثيرة منها: تفسير الفاتحة ،وفتاوي في أنواع العلوم، أُثبِت منها الكثير في المعيار ونوازل المازوني.

أخذ عنه يحي بن إدريس المازوني صاحب النوازل ،و الشيخ أبو الحسن القلصادي ، وذكره في فهرسته فقال:" شيخنا و بركتنا الفقيه الامام المصنف المدرس المؤلف ، أعلم الناس في وقته بالتفسير وأفصحهم ، فاق نظراءه و أقرانه في دلائل السبل و المسالك إلى السبق في الحديث و الأصول والمنطق ، وقدم راسخة في التصوف مع الذوق السليم و الفهم المستقيم .... ".

1 - أحمد بابا التمبكتي ، **نيل الإبتهاج** ، المصدر السابق ،ص، 499 -510 محمد مخلوف ،المصدر السابق ،ص436. إبن مريم ، ص 201 -214 .الحفناوي، المصدر السابق ،ج1، ص،124 .

توفي يوم الخميس وقت العصر ، وعمره ثلاث و ستين سنة .[1]

محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني التلمساني (ت 871هـ-1467م)

الفقيه العالم العلامة ،الحاج الرحالة، المتقن البارع .وليّ قضاء تلمسان ،أخذ عن جده الإمام قاسم وغيره، وأخذ عنه أبو العباس الونشريسي، وأحمد بن حاتم وغيرهما .

قيل عنه :كان فقيها عارفا بالنوازل وملكَةً في التصوف ، صاحب كتاب تحفة الناظر وغنيّة الذاكر في حفظ الشعائر وتغييّر المناكر [2].

أبو العباس أحمد بن يحي الونشريسي (ت 914هـ-1508م)

العالم العلامة حامل لواء المذهب المالكي على رأس المائه التاسعة ، أخذ عن شيوخ تلمسان كالإمام أبي الفضل قاسم العقباني، ثم حصلت له كائنة من جهة السلطان في أول محرم عام أربع وسبعين، فانتُهِبت دراه ،وفرّ إلى فاس واستوطنها. شارك في مختلف فنون العلم ،كان فصيح اللسان والقلم. وعن فتاوى إفريقيا وتلمسان فاعتمد في ذلك على نوازل البرزلي والمازوني ، وله تآليف كثيرة أهمها المعيار المغرب [3].

أحمد بن محمد بن زكري المانوي التلمساني (ت 899هـ-1494م)

قال عنه الشفشاوني :علامة الزمان ، وشيخ التحقيق و الاتقان ،بحر العلوم، كان يتيم الأب ويأتي لأمه كل يوم بما تقتات به ،توفي بالطاعون ، وقبره بتلمسان.[4]

---

1 - إبن مريم ، المصدر السابق ،ص 41-42 .

2 - أحمد بابا التمبكتي ،**نيل الإبتهاج**، المصدر السابق ، ص 547 -548.

3 - ابن مريم ، المصدر السابق ، ص54. أحمد بابا التمبكتي ، **نيل الإبتهاج** ، المصدر السابق ، ص 135.. الحفناوي، المصدر السابق ، ج1 ،ص58.

4 - الشفشاوني ، المصدر السابق ، ص 119-121.

وقال عنه أحمد بابا التمبكتي :علامةُ تلمسان ومفتيها ،العلم الحافظ المتفنّن ،الإمام الأصولي المفسر الأبرع ، المؤلف الناظم الناشر، أخذ عن الإمام ابن مرزوق والمفتي الحجة قاسم العقباني والعلامة أحمد زاغو،.....ويذكر أنه كان في أول أمره حائكا ثم حضر عند ابن زاغو يطلب غزلا، فوجده يُدّرِس ففهِم موضوع الدرس وشارك فيه، فأمره ابن زاغو بأن يترك الحياكة و يشتغل بالعلم . و وقعت له منازعة ومشاحنة مع الإمام السنوسي في مسائل كلٌّ يرد على الآخر. [1]

عبد الله بن أبي بكر العصنوني التواتي (ت 914هـ– 1508 م)

هو عبد الله العصنوني بن أبي بكر بن عثمان بن أبي بكر بن موسى بن عمران بن عبد العزيز بن عبد الله بن العباس بن محمد بن الحسن بن العالم العلامة النحوي علي بن بن محمد بن يحي .....بن أحمد بن عصنون بن الوثيق بن.....بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن زين العابدين بن الحسين بن علي و فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

دخل توات بصحبة ابن أخيه سالم سنة 863هـ، وتولى قضاء الجماعة التواتية بعد موت شيخه يحي بن يدير سنة 877هـ .[2] قال عنه محمد حجي: فقيه متمكن، مارس التدريس والإفتاء والقضاء بتوات مدّة طويلة، وعارض بلدِيه المغيلي فيما كان يراه من نقض ذمة اليهود .

وعائلة العصنوني من الأسر العريقة في توات ، توارثوا العلم والقضاء في هذه المنطقة منذ أيام المرينيين ، [3].

1 – أحمد بابا التمبكتي ،**نيل الإبتهاج**، المصدر السابق ، ص130.ابن مريم ، المصدر السابق ، ص38 . ابن القاضي ، المصدر السابق ، ج1 ،ص90 .الحفناوي ، المصدر السابق ، ص 38. محمد مخلوف ، المصدر السابق ،ص267.

2 – عبد الحميد بكري ، المرجع السابق ، ص76–78. ابن القاضي ، المصدر السابق ،ج3، ص55

3 – محمد حجي، **الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين** ،ج2، مكتبة فضالة ،المغرب ،1978، ص631.

الشيخ ميمون بن عمر بن الباز (ت 901هـ-1496م)

جاء إلى توات مع أبيه و أخيه التهامي من فاس ، كان نزوله بتمنطيط نهاية القرن 9 هـ-15م ، وتزوج من ابنة عبد الله العصنوني ، عرف بالعلم والتقوى ، ويعتبر الجد الاول للعائلة البكرية بتمنطيط ، والتي سوف يكون لها دور كبير في النشاط العلمي بالمنطقة خلال العصر الحديث ، له نوازل في العبادات و الأحكام و العوائد الجارية بتوات ، وله ألفية الغريب في اللغة القرآنية تشتمل على ألف بيت . و يعتبر هذا الشيخ أول من أدخل مختصر خليل إلى الأراضي التواتية بعد أن وقعت بينه و بين طلبة الصحراء مراجعة فقهية حول اليمين.[1]

محمد بن محمد بن عيسى بن علال المصمودي (ت 884هـ-1479م)

الفقيه القاضي بفاس ،يكنىّ أبا عبد الله ، قال عنه الشيخ زروق :" كان فقيها قاضيا عدلا نيّرا صالحا، حفيد السلف الصالح عيسى بن علال، وكان ثقه مأمونا ،عدلا جميلا متجملا، تقيّا قائما بما تجب لحظته، محصلا أكثر مسائل البيان .

قرأ المدونة على الأنفاسي ، وكان صلبا في دين الله تعالى و لا يخاف لومة لائم . [2]

محمد بن محمد بن عبد الجليل التنسي (ت 899هـ-1494)

وبه عرف التلمساني الفقيه الجليل، الحافظ الأديب المطّلع ،من أكابر علمائها الجلّة ، أخذ عن الأئمة أبي الفضل بن مرزوق وقاسم العقباني وابن الأمام ،..وقال عنه الشيخ أحمد بن داود الأندلسي

---

[1] - سالمي زينب ، **الحركة العلمية في إقليم توات خلال القرون 08-10هـ** ، رسالة ماجستر في تاريخ المغرب العربي ، إشراف الدكتور بودواية مبخوت، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية ، قسم التاريخ و علم الآثار،جامعة أبي بكر بلقايد ،تلمسان،2011-2012 ، ص ص40-41.

2 - أحمد بابا التمبكتي ، **نيل الإبتهاج** ، المصدر السابق ، ص 557. أحمد بابا التمبكتي ،**كفاية المحتاج** ، المصدر السابق ،ج2، ص43. ابن القاضي ،المصدر السابق ، ج1 ،ص199.

حينما سئل بعد خروجه من تلمسان عن علمائها قال :" العلم مع التنسي والصلاح مع السنوسي ، والرياسة مع ابن زكري".

له تآليف عديدة منها : نظم الدّرر والعقبان في دولة آل زيان، وله جواب مطوّل عن مسألة يهود توات أبان فيه عن سعة الدائرة في الحفظ والتحقيق ، وأثنى عليه عصريّه الامام السنوسي غايةّ، فممّا قال : " لقد وُفِق لإجابة المقصد وبَذل وِسعَهُ في تحقيق الحق و شفا غليل أهل الإيمان في المسألة ،نقل عنه الونشريسي عدّة فتاوى". [1]

محمد بن يوسف بن عمر شعيب السنوسي (ت 895هـ-1490م)

يقول عنه الشفشاوني أنه من بين المائة المجددّة لأمر دينها، كما أخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم ، ويذكر أحمد بابا التمبكتي عنه أنه عالم تلمسان، وصالحها وزاهدها و كبير علمائها.

أخذ عن العديد من العلماء من بينهم الفقيه الجلاب الذي أخذ عنه الفقه، و الوليّ الصالح أبركان العلم الكثير و البركة ، وعن العالم المعدل أبي الحباب علم الإسطرلاب، وعن الامام محمد بن العباس الأصول والمنطق ، وعن القلصادي الفرائض و الحساب ، وغيرهم كثر.

جمع تلميذه الملالي في أحواله وسيره و فوائده تأليفا كبيرا، في نحو ستة عشر كراسا من القالب الكبير، له في علوم الظاهر أوفر نصيب ، لا يتحدث في فن إلا ظن سامعه أنه لا يحسن غيره سيما التوحيد و المعقول .وانفرد بعلوم الباطن ، بل زاد على الفقهاء ،..لا يقرأ علم الظاهر إلا خرج منه لعلوم الآخرة ،سيما الحديث و التفسير ،لكثرة مراقبته لله تعالى ، كأنه يشاهد الآخرة . فكان متواضعا زاهد في الدنيا، لا يحضر مجالس السلاطين ولا الولائم ، ولا يقبل عطايا السلاطين ،وكان

1 - أحمد بابالتمبكتي ، **نيل الإبتهاج** ، المصدر السابق ، ص،ص، 572-573.

حنونا رحيما، يألم حتى لألم الحيوانات، توفي يوم الأحد، وشم الناس المسك بنفس موته. من تآليفه المغرب المستوفي كبير الحرم كثير العلم ،ألّفه وسنة 19 سنة .[1]

محمد بن أحمد بن محمد بن محمد ابن علي بن غازي ، العثماني المكناسي ثم الفاسي (ت919هـ-1514م)

شيخ الجماعة العلامة الحافظ الحجّة المحقّق ، خاتمة علماء المغرب وآخر محقّقيهم .ويذكر الشيخ عن حياته في كتابه الروض الهتون نسبه لأبي عثمان ، قبيلة كتامة ،ويقول :نشأت بمكناسة وقرأت بها ،ثم ارتحلت لفاس لطلب العلم ،سنة858هـ...و واصل رحلته العلمية بين فاس و مكناسة.

قال عنه تلميذه عبد الواحد الونشريسي : شيخنا الامام العالم الأثير السيد ، كان مقرئا مجودا، صدرا في القراءات متقنا فيها ، عارفا بوجودها وعللها ، طيب النعمة ،قائما بعلم التفسير و الفقه و العربية ، متقدما في الحديث ، حافظا له...، أخذ العلم عن الشيخ النيجي والقوري و غيرهما ،أنفذ عمره في طلب العلم و نشره وتقييده.

ألف في القراءة و الحديث و الفقه و العربية والفرائض و الحساب و العروض ...، وخطب بمكناسة ثم بفاس الجديدة ثم بالقرويين .و ليس في عصره أخطب منه ، يُسمع في كل شهر رمضان صحيح البخاري، تخرج عليه عامة طلبة فاس وغيرها ، ورحل إليه الناس و تنافسوا فيه. كان عذب المنطق حسن الإيراد و التقرير ، فصيح اللسان ، عارفا بصنعة التدريس ،ممتع المجلس ، جميل الصحبة ....،وبالجملة فهو آخر المقرئين وخاتمة المحدثين ، لم يزل يُحرِض الناس في خطبه و مجالس تدريسه على الجهاد و الإعتناء به ، و حضر بنفسه مواقف عديدة و رابط مرات .

1 - الشفشاوني ، المصدر السابق ،ص121 . أحمد بابالتمبكتي ، **نيل الإبتهاج** ، المصدر السابق ، ص ص، 563-572. ابن مريم ، المصدر السابق ، ص237 . الحفناوي ، المصدر السابق ،ص 176.

خرج آخر عمره لقصر كتامة للحراسة فمرض و رجع لفاس ،فتوفي يوم الاربعاء 09 جمادى الاولى سنة 919هـ، وكثر الناس في جنازته ، وحضرها السلطان .[1]

الإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمان السيوطي (ت911هـ-1505م)

كان عالما عارفا متفننا آية في جميع العلوم ،و نسبته إلى سيوط قرية على شاطئ البحر ، ومنشأه بمصر ،توفي إثر سقوط كتبه عليه عندما غفا .[2]

ألّف كتابا عن الحياة الإقتصادية و الثقافية و الإجتماعية في أرض التكرور خاصة منها الهوسا،وقد زارها ووقف على الكثير من أخبارها ، هذا علاوة على ما كان يسمعه عنها من الطلاب الذين يفدون الأزهر و الحجاج ... [3]، وله كتاب آخر يدعى الحاوي للفتاوى المسمى فتح المطلب المبرر وبرد الكبد المحرور في الجواب عن الأسئلة الواردة من التكرور ما يدل على علاقته القوية العلمية و الثقافية بعلماء المنطقة .[4]

يحي بن أبي عمران موسى بن عيسى المازوني (ت 883هـ -1480م)

قاضي مازونة ، الامام العلامة الفقيه ، أخذ عن الأئمة كابن مرزوق الحفيد و قاسم العقباني ، وابن زاغوا وغيرهم كثير .

---

[1] - أحمد بابا التمبكتي ، **كفاية المحتاج** ،ج2 ، ص ص 217-218. أحمد بابا التمبكتي ، **نيل الإبتهاج** ، المصدر السابق ، ص359. الزركلي ، المصدر السابق ، ج2، ص232.

[2] - محمد حجي ، **موسوعة أعلام المغرب** ، ج2 ،ط1 ،دار الغرب الاسلامي ، المغرب ، 1996م ، ص819.

[3]- عبد السلام أبو سعد ، **العلاقات الثقافية بين الشعوب الإفريقية وأثر الإسلام و اللغة العربية في ترسيخها**، أعمال الملتقى السابق ، ص22-23.(نقلا من كتاب حسن المحاضرة للسيوطي).

[4]- محمد محمود ،**العلاقة الثقافية بين السكان في شمال و جنوب الصحراء الكبرى** ، أعمال الملتقى السابق...، ص49.

وجب وبرع و ألف نوازله المشهورة المقيّدة في فتاوى المتأخرين من أهل تونس و بجاية و الجزائر و تلمسان و غيرهم ،ومنه استمدّ الونشريسي مع نوازل البرزلي .[1]

عيسى بن أحمد ، أبو مهدي البطوي الماواسي (ت896 هـ-1497م)

مفتي فاس ،كان أستاذا فقيها خطيبا مفتيا ، أخذ العلوم عن أهل فاس و تلمسان كالامام عبد الله العبدوسي و غيره،ذكر أنه خطب نحو ستين سنة بفاس الجديدة .

ومن شيوخه القوري ، وتولى الفتوى بعده ، وأخذ عنه الشيخ زروق ، له فتاوى في المعيار.[2]

محمد بن قاسم أبو عبد الله الانصاري التونسي ، شُهِر بالرصّاع (ت 894هـ-1495م)

قاضي الجماعة بتونس، الفقيه العالم العلامة الصالح المفتي ، أخذ عن جماعة من أصحاب ابن عرفة و غيرهم كالبرزلي و أبي القاسم العبدوسي وغيرهم .

ألف تآليف كثيرة كتذكرة المحبين في أسماء سيد المرسلين صلى الله عليه و سلم ، كتاب حسن في نوعه في الصلاة على النبي صلى الله عليه و سلم ...

اقتصر على إمامة جامع الزيتونة و خطابتها متصدرا الإفتاء وإقرار الفقه و أصول الدين والعربية و المنطق وغيرها .[3]

يحي بن عبد الله ابن أبي البركات أبو زكرياء (ت 910هـ-1504م)

قال الونشريسي :صاحبنا قاضي الجماعة الفقية ، توفي في غرة محرم عام عشرة وتسعمائة .[4]

---

[1] - أحمد بابا التمبكتي ، **نيل الإبتهاج** ، المصدر السابق ، ص 637.

[2] - أحمد بابا التمبكتي ، **كفاية المحتاج** ، ج2 ، المصدر السابق ، ص 320.

[3] - الحفناوي ، المصدر السابق ، ص199-200 . أحمد بابا التمبكتي ، **نيل الإبتهاج** ، المصدر السابق ، ص 560.

[4] - أحمد بابا التمبكتي ، **نيل الإبتهاج** ، المصدر السابق ،ص 638.

الشيخ عمرو بن عبد الرحمان بن عمر

أمير تمنطيط ،وقع بينه و بين الإمام المغيلي خلاف حول من له الحق في الإستفادة مما يدفعه اليهود لرؤساء القبائل ، وهل يعدّ ذلك من قبيل دفع الجزية ...، فدارت بينهما حرب في أولاد سعيد بتمنطيط. [1]

إبراهيم ابن هلال السجلماسي (ت903هـ):

ذكره الشفشاوني بقوله :شيخ الفتيا و إمام أهل التُقى ، العالم العلم ، القدوة أبو سالم ابراهيم بن هلال ، كان أشهر من أن يذكر لفظه ، وغزارة علمه ، واتساع باعه وعلوّ مقامه ، ويقول الشفشاوني أنه وقف سنة 881هـ على تأليف له ذكر فيه فهرسة أشياخه ، وما حصل عليه من فنون العلم ، وإجازته فيها ،كما شرح ابن الحاجب أي مختصر الفرعي شرحا عجيبا ، وله أجوبة و مقاطع كلها تدل على أدبه و فضله و غزارة علمه ، مع اجتماع أهل العصر على إمامته وفضله وولايته .[2]

ونضيف من درّة الحجال لابن القاضي قولَه عنه :مفتي سجلماسة ، وله نوازل في الفقه ، أخذ عن أبي عبد الله القوري ، وكانت ببينه وبين الشيخ ابن غازي صحبة ، وهو الذي بعث له أصنافا من التمر لما سأله ابن غازي: إلى ماذا يتنوّع بسجلماسة ؟

فبعث بحمل فيه تمران من كل صنف ، وكتب له مع ذلك : سألتني عن أصناف التمر ، وهاهي تصلك، [3] وذكر قوله تعالى:﴿ **ءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾** ﴾ [4]

---

[1] – مبروك مقدم ، **محمد بن عبد الكريم المغيلي و أثره الإصلاحي** ....، المرجع السابق ، ص68.

[2] - الشفشاوني ، المصدر السابق ، ص 99.

[3] – ابن القاضي ،المصدر السابق ،ج1، ص ص 196-200.

[4] – [سورة إبراهيم ، الآية 34].

ب– شيوخه :

محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي شهر بالجلاب التلمساني (875هـ/1470م)

الفقيه العالم العلامة ، أخذ شيوخ الونشريسي والإمام السنوسي، قال عنه هذا الأخير أنه حافظ لمسائل الفقه ،له فتاوى في المازونية والمعيار . يعدّ المغيلي من تلاميذه النجباء حيث ختم عليه المدونة مرتين .[1]

عبد الرحمن بن أحمد الوغليسي البجائي (ت 886هـ)

عالم بجاية ومفتها ،الفقيه العالم الصالح أبو زيد، له المقدمة المشهورة وفتاوى... ، أخذ عنه جماعة كأبي الحسن علي بن عثمان و بلقاسم بن محمد المشذالي فقيه بجاية وغيرهما .[2]

يحي بن يدير بن عتيق التدلسي أبوزكريا (ت 877 هـ–1472م)

هو أحد العلماء الفضلاء و الزهاد العباد الذين دخلوا توات عام (845هـ – 1441م) ، فأثرى الحركة العلمية ، وقيّد فيها العديد من المسائل و النوازل ،وأفاد الطلبة و العلماء بما حازه من الفضل و الوجاهة، حتى اختير لمنصب قاضي الجماعة ، فسلك فيه مسلك العدل و الإنصاف ، فأظهر الحق ورفعه ،ووضع الباطل و أزهقه.

أخذ عنه خلق كثير ، واستفاد منه جمّ غفير ،فنزل لرأيه العلماء الأكابر ،و أخذ بفتواه القضاة الأعيان، وذلك لأنه رحمه الله عاش مسلما مخلصا ، يضع دينه فوق كل اعتبار ، فما عرف بالميل

---

1 – أحمد بابا التمبكتي ، **نيل الإبتهاج** ، المصدر السابق ،ص 552. محمد مخلوف ، المصدر السابق ،ج 2 ،ص 246. الحفناوي ، المصدر السابق، ص 124.

2 – أحمد بابا التمبكتي ، **نيل الإبتهاج** ، المصدر السابق ، ص 248.

لدنيا ، ولا انشغال بشيء سوى العلم ، فكان من العلماء العاملين ، الآمرين بالمعروف و الناهين عن المنكر ، و الحافظين لحدود الله سرّا وجهرا .

و كان من أشهر طلبته محمد بن عبد الكريم المغيلي ،الذي أخذ عنه بمدينة تمنطيط التي سكنها الشيخ عند دخوله توات ،وعبد الله العصنوني. بقي الشيخ يحي بن يدير رحمه الله بتوات حتى وافته المنيّة ، ودفن بمقبرة أولاد علي بن موسى بتمنطيط ، وقبره مشهور ومعروف بها ، وهو محل زيارة .[1]

قال عنه أحمد بابا التمبكتي :الفقيه العالم العلامة ، قاضي توات ، أخذ عن الإمام إبن زاغو وغيره .[2]

الحسن بن مخلوف بن مسعود بن سعيد المزيلي الراشدي أبو علي المشهور بأبركان (ت 857هـ-1453م)

وأبركان معناه بلسان البربرية الأسود. الشيخ الفقيه الإمام العالم العلم الولي الصالح ،القطب الغوث، أخذ عن الإمام إبراهيم المصموري والإمام الحفيد ابن مرزوق ،وأخذ عنه الحافظ التنسي، وكان هذا الأخير يقول عنه: رأيت المشايخ و الأولياء فما رأيت مثل هذا الشيخ ، كان لا يخاف في الله لومة لائم ، ولا يضحك إلا تبسما ، وكان رحيما شفيقا بالمؤمنين ، يفرح لفرحهم ، و يتأسف على ما يسوؤهم ،لا يفتر عن ذكر الله تعالى طرفة عين ، و له قبول عظيم في العامة و الخاصة ..،وله مكاشفات كثيرة و كرامات ، منها : ما ذكره السنوسي و أخوه علي قالا: كان بتوضأ في صحراء

[1] – عبد الحميد بكري ، المرجع السابق ، ص76.

2 – أحمد بابا التمبكتي ، **نيل الإبتهاج** ، المصدر السابق ، ص637.

يوما ، فإذا بأسد عظيم قد أقبل ، فبرك على بساطه ، فلما فرغ من وضوئه التفت إلى الأسد فقال له : تبارك الله أحسن الخالقين ، ثلاثا ، فأطرق الأسد برأسه إلى الأرض كالمستحي ، ثم قام ومضى.[1]

عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري (ت 875هـ-1470م)

الشيخ الإمام ،الحجه العالم ،العامل الزاهد الورع، ولي الله، الناصح الصالح العارف بالله أبو زيد شهر بالثعالبي ، صاحب التصانيف المفيدة ،كان من أولياء الله المعرضين عن الدنيا وأهلها.

رحل في طلب العلم أول القرن التاسع ، فأخذ بتونس عن تلامذة ابن عرفة ، ثم دخل مصر ، فلازم الحافظ وليّ الدين العراقي ، وأجاز له وعاد إلى بلده ، فأخذ عن الشيخ المحدث عبد الواحد الغرياني ، وحافظ المغرب أبو القاسم العبدوسي و آخرون .وأخذ عنه محمد بن محمد بن مرزوق الكفيف ، والإمام السنوسي ، والإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي.

من تآليفه الجواهر الحسان في غاية الحسن ، روضة الأنوار ونزهة الأخيار ، الأنوار في معجزات النبي المختار صلى الله عليه وسلم ....، اختصر تفسير ابن عطيه في جزأين، وشرح ابن الحاجب الفرعي في جزأين ،وعمل في الوعظ والرقائق وغيرها .[2]

1 – أحمد بابا التمبكتي ، **نيل الإبتهاج** ، المصدر السابق ، ص 161. أحمد بابا التمبكتي ،**كفاية المحتاج** ، المصدر السابق ، ص147.ابن القاضي ، المصدر السابق ،ص 199.

2 – أحمد بابا التمبكتي ، **نيل الإبتهاج** ، المصدر السابق ،ص ص 257-261. محمد مخلوف ، المصدر السابق ، ج 2، ص265. الحفناوي ، المصدر السابق ، ص67. عبد الله مرابط الترغي ، المرجع السابق ،ص 623.

ج– تلاميذه :

عمر بن أحمد بن البكاي بن محمد الكنتي بن علي (ولد عام 865هـ –1460م)

درس في صغره على يد والده ، ثم رحل إلى بلاد المغرب ومنها إلى مصر ، ومرّ ببلاد الشام ، وأدى فريضة الحج ، ثم عاد إلى بلاد التكرور ،واتقى خلال هذه الأسفار بالإمام المغيلي ، فلازمه تبعه وفي جميع رحلاته الداعية إلى نشر الإسلام الصحيح . وأدى فريضة الحج مرّة ثانية برفقته ، ولما عاد المغيلي إلى توات ، كان الشيخ عمر بصحبته ، وأخذ عنه علوم الحديث و الفقه ، والعربية والسياسة الشرعية ، والمنطق ، و الفرائض ، وقد تأثر الشيخ عمر بشخصية المغيلي حيث لازمه ولم يفارقه حتى وفاته ، ويعتبر الوارث الأول لعلم المغيلي ، و هو الذي انتهت إليه رئاسة الطريقة القادرية في بلاد التكرور. [1]

محمد بن عبد الجبار الفجيجي (ت956هـ– 1547م)

قال عنه الشفشاوني : كان فقيها عارفا ، أديبا شاعرا ، ماجدا فاضلا ، نزيها خيرا ، وكان مولعا بالصيد .[2]

كماكان عالما متصوفا ، له إلمام كبير بعلوم الحديث و رواياته .و كانت دراسته الأولى بفجيج على يد والده عبد الجبار وغيره من علماء المنطقة ،ثم أسّس زاوية في بلاده فجيج ، كما بن ا بيتا للفقراء و مريدي التصوف ينفق عليهم .

اشتهر بالشعر ، ومهر فيه ، و ألفّ العديد من القصائد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم .

[1] – حاج أحمد نور الدين ، المرجع السابق ، ص31.

[2] – الشفشاوني ، المصدر السابق ، ص 132.

إلتقى بالإمام المغيلي في فاس حيث لازمه طول وجوده بها ، و أخذ عنه التصوف وعلوم الحديث و الفقه و العقيدة و المنطق ، ثم رجع إلى بلاده ليستقرّ فيها ، فاشتغل بالتدريس في مختلف العلوم الشرعية خاصة الحديث الذي كان له سند عالي .[1]

إبراهيم بن عبد الجبار الفجيجي (ت 954 هـ– 1547 م)

أكبر أبناء الشيخ عبد الجبار ، وأغزرهم علما وأدبا، درس على يد والده و كبار علماء فجيج ، توجّه إلى فاس ، فأخذ عن عى شيخ الجماعة ابن غازي ، ثم قصد تلمسان ، فأخذ بها عن الإمام السنوسي ، رحل إلى المشرق أكثر من مرّة للحج، فأخذ عن جلال الدين السيوطي ، واشتغل بالقضاء و التدريس في مسقط رأسه ، وفي طريق هجرته إل السودان الغربي مرّ بتوات ، فصادف بها ثورة المغيلي على اليهود ، فتحرّكت مشاعره الدينية و شاطر المغيلي في رأيه .

الشيخ عثمان بن محمد بن عمر بن فودى الفلاني السكطي :

أحد تلامذة الإمام المغيلي ، وقد ألّف كتابه :" الفتح الرباني في ذكر أخبار الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني " .وقد لازمه مدّة عشرة سنوات كاملة .[2]

الشيخ العاقب بن عبد الله الأنصمني المسوفي:(من أهل أكدس،بلدة قريبة من بلاد السودان ، عمّرها صنهاجة) ، يقول عنه التمبكتي :فقيه نبيه ذكي ، حاد الذهن ، وقاد الخاطر ، مشتغل بالعلم ، في لسانه حدّة ، له تعاليق من أحسنها تعليقه على قول خليل ، وألف جزء في وجوب الجمعة بقرية "انصمن" .

خالف غيره من شيوخ بلده ، فأرسلوه لعلماء مصر فصوّبوه ، ومن مؤلفاته : الجواب المحدود عن أسئلة القاضي محمد بن محمود ، وأجوبة الفقير عن أسئلة الامير أجاب فيها السلطان أسكن

[1] – حاج أحمد نور الدين ، المرجع السابق ، ص31 –32.

[2] – نفسه ، ص 32.

الحاج محمد و غيرها. أخذ العلم عن الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي ، و عن الإمام جلال الدين السيوطي لما حجّ وغيرهما. كان حيّا قريبا من الخمسين وتسعمائة. [1]

الشيخ محمد بن أحمد بن أبي محمد التاذخسي :(توفي في حدود 936هـ)

شهر بأَيْدَ أحمد ، و معناه بلغتهم أبركان ، يقول أحمد بابا التمبكتي عنه : شيخنا فقيها عالما وعلامة محققا فهامة ، محدثا متفنّنا ، رحالة شهير ،محصلا نافذا ، جيد الخط و الفهم ، حسن الإدراك ، كثير النزاع.

قرأ ببلده على يد جدّ أحمد بابا التمبكتي الحاج أحمد بن عمر ، وعلى يد خاله الفقيه علي ، ثم رحل إلى تكدة ، فلقي بها الإمام المغيلي ، وحضر دروسه ، ثم اتجه إلى الشرق صحبة الفقيه محمود، فلقيّ علماء أجلاء كشيخ الاسلام زكرياء ، و القلقشندي ، وابن أبي شريف ، وعبد الحق السنباطي في جماعة ، فأخذ عنهم علم الحديث ، وسمع وروى ، وحصّل و دأب ، حتى تميّز في فنونه ،و صار في أعداد المحدثين . ولقي الشيخ الشمس اللقاني و الناصر أخاه ،حضر دروسهم وتصاحب مع أحمد بن عبد الحق السنباطي، وأجازه من أهل مكة أبو البركات النويري ، وابن عمّه عبد القادر وعلي بن ناصر الحجازي ، وأبو الطيب البستي وغيرهم ، واجتهد حتى صار من محصلي العلماء ، ثم قفل للسودان ، فنزل بلدة كشن ، فأكرمه صاحبها غاية الكرم وولاه قضاءها .

توفي عن نيف وستين سنة ، له تقاليد على مختصر خليل و غيره. [2]

[1] – أحمد بابا التمبكتي ، **نيل الإبتهاج** ، المصدر السابق ،ص 353.

[2] – نفسه ،ص 587.

الفصل الثاني:

توات عشية مجيء الإمام المغيلي

1 – التعريف بمنطقة توات:

أ– أصل التسمية : تعتبر منطقة توات من المناطق الهامة من الناحية التجارية فقد كانت همزة وصل بين الشمال و الجنوب ، فهي طريق القوافل التجارية ونقطة عبور الحجاج إلى بيت الله الحرام .

هاته الأهمية جعلت الرواة يختلفون في أصل تسميتها ، نظرا لكثرة الناس الذين لجؤو إليها،[1] ويمكن أن نلخصها حسب ما لدينا من روايات كالتالي :

ماذكره عبد الرحمان السعدي في كتابه " تاريخ السودان " من أن السلطان كنكن م وسى ملك مالي حينما كان في رحلة حج مع قوة عظيمة ، توقف عند موضع توات لوجع أصاب أرجل أصحابه يسمى توات بِلُغَتِهِمْ فانقطعوا بها و توطنوا فيها، فسمي الموضع باسم تلك العلة [2].

وجاء في فهرست الرصاع لصاحبها أبو عبد الله محمد الأنصاري ، ذكر إسم توات حيث قال:" إنها إحدى البطون المنحدرة من قبائل الملثمين " و الملثمون هم قبائل الصحراء بالجنوب ،عرفوا بهذا الاسم لأنهم يتلثمون بلثام أزرق ،ومنهم طوائف الطوارق و توات [3].

ونقلت لنا الأستاذة زينب سالمي من كتاب (نقل الروّاة عمن أبدع قصور توات) للمؤرخ المحلي محمد بن عومر بن محمد المبروك البداوي مايلي:" إن توات سميت بهذا الاسم عندما فتح عقبة بن نافع الفهري بلاد المغرب سنة 62 هـ ، فحين وصل إلى توات سألهم هل تُوَاتِي نفـيَ المجرمين من عصاة المغرب، فأجابوه بأنها تُوَاتِي ،فانطلق اللسان بذلك.[4]

1–حاج أحمد نور الدين ، المرجع السابق ،ص17 .

2 – عبد الرحمان بن عبد الله السعدي، **تاريخ السودان** ،طبعة هوداس،باريس 1981،ص7.

3 –أبوعبد الله الانصاري ،**فهرست الرصاع**،تح :محمد العنابي، المكتبة العتيقة ،تونس ،(د.ت) ،ص127.

4 – زينب سالمي ، المرجع السابق، ص13 .

و في رواية لمحمد بن عبد الكريم بن عبد الحق ال بكراوي التمنطيطي في كتابه (درّة الاقلام في ذكر أخبار المغرب بعد الإسلام) يرى أن توات سميت بهذا الاسم الذي جاء من الأَتَوَاتْ التي كان يفرضها الملك محمد بن تومرت الملقب بالمهدي ملك الموحدين (524هـ-1140م) حين وجه عامله المسعودي بن ناصر لأهل الصحراء و أمره بقبض المغارم ، ولمّا احتج أهلها بعدم امتلاكهم الذهب و الفضة، أمر عامله أن يُدْخِل في المغارم الرطب و العنب و سائر الفواكه ، لغنى المنطقة بها ،و منه عرف الإقليم بأهل الأتَوَاتْ، فحذف المضاف و بقي المضاف إليه من دون التعريف (توات) ،[1]

و أوجد محمد بن عبد الكريم البكراوي التمنطيطي تفسيرا آخرا لغويا لكلمة توات، بمعنى التُوتْ و هو فاكهة ، و جمع ها أَتْوَاتْ ،فعُرف أهل هذه البلاد بأهل الأتوات ،فحذف المضاف و أقيم المضاف إليه مقامه فصارت «توات».[2]

وذهب الشيخ أحمد الإدريسي الطاهري صاحب نسيم النفحات إلى سبب آخر في تسمية توات، وذلك بأنها تُواتِي العبادة .[3]

وعن المؤرخين الغربين نذكر بعض الآراء مثل :

الفرنسي **Martin-AGP** ،أحد الذين اهتموا بتاريخ المنطقة فقال: كلمة توات أصلها إغريقي واستدل في ذلك أنه في الفرنسية يطلقون على الواحة اسم **oasis**وهي مركبة من كلمتين الأولى

1 - محمد تختوخ ، **الزوايا في إقليم توات** (تيميمون-توات الوسطى تديكلت ، دراسة سوسيولوجية مونوغرافية للزاوية الطاهرية)،رسالة ماجستير في علم الاجتماع المعرفة و المنهجية،اشراف الدكتور عبد الرحمان بوزيدة ،كلية العلوم الاجتماعية ،قسم علم الاجتماع ،جامعة الجزائر 2 ،سنة 2012-2013، ص93.

2 - زينب سالمي ، المرجع السابق، ص 14.

3 - حاج احمد نور الدين ،المرجع السابق ص18.

oaتطابق المصطلح البربري (وا)في اللفظ و المعنى،وهو يدل على الجمع مفرده توات **touat**.واعطى مثالا على ذلك بـ **touat'n ebbou**. وتعني واحة الماء.[1]

ويضيف حاج أحمد نور الدين أن كلمة (وا) البربرية بمرور الزمن تحرّفت على لسان القبائل فأضافوا لها«ت» في المقدمة و المؤخرة ،فأصبحت توات .[2]

ونفس الرأي ذهب اليه أحد الكتاب الغربيين يدعى روكليس (**Ruclus**) الذي يرى أن توات اسم بربري معناه الواحة .[3]

ويرى ماندوفيل (**Mandeville**) أن اسم توات أطلقه الطوارق و العرب على الواحات المنتشرة على ضفاف واد الساورة ،و واد مسعود.[4]

و في الأخير يمكن القول أن كثرة الروايات دليل على عدم البت في هذه المسألة من طرف الباحثين و المؤرخين، فمعظم الروايات تحتاج إلى سند قوي.[5]

ب– توات في عيون الرحالة:

تعتبر الأقاليم التواتية منطقة ضاربة في أعماق التاريخ و يرجع تاريخ عمارتها إلى ما قبل الإسلام بقرون بعيدة ، و لا أَدّل على ذلك من كثرة الحديث عنها في كتب المؤرخين و الرحالة العرب و الأعاجم [6].

1 - MARTIN .AGP : **quatre siècles d'histoire marocain** (**1504–1904**), paris, 1923, pp1-2.

2 – حاج أحمد نور الدين ،المرجع السابق ،ص18.

3 - Ruclus Elisée : **Nouvelle géographie universelle** ,T-XI(L'Afrique septentrionale) ,paris,1886,p845

4 - Mandeville G :**l'Algérie méridionale et Touat** ,Paris,1898,p8

5 – محمد تختوخ ، المرجع السابق، ص94.

6 – أحمدأبا الصافي جعفري، المرجع السابق ،ص74.

وكما اختلف المؤرخون حول أصل تسمية توات ، إختلفوا حول تاريخها و بداية عهدها ، ومن خلال الآثار و شواهد الإنسان الأول التي عُثر عليها في المنطقة من أدوات حجرية ووسائل بدائية و مغارات وهياكل عظمية المتواجدة بكثرة في المتاحف خاصة تيجوراريين و تديكلت [1]، يمكن القول أن الإنسان الأول عاش في المنطقة إبتداءا من العصور الحجرية.[2]

وأقدم من لمحّ إلى المنطقة يعود إلى القرن الخامس قبل الميلاد ، عن طريق المؤرخ اليوناني الشهير هيرودوت (Herodote) حيث قال:

(و خَلْفَ منطقة ليبيا صحاري بلا ماء و لا حيوانات و لا أمطار ولا أخشاب ، وليس فيها أثر للرطوبة،و أسفلها لا يوجد إلا الرمال و الجفاف و الصحراء القاحلة) .

وفي كتاب« صورة الأرض» لجغرافي الكبير ابن حوقل إشارات تَنِمُّ عن المنطقة فقال :

(و بين بلاد السودان و أرض المغرب،سكان من البربر و م فلوز و براري منقطعة قليلة المياه متعذرة المراعي ،لا تُسلك إلا في الشتاء)[3]

ونجد الإصطخري المعروف بالكرخي يذكر في كتابه المسالك و الممالك مايلي:

(و أرض المغرب مكان منها في شرقي بحر الروم بقرب الساحل فتعلوهم سمرة ،و كلما تباعدوا فيما يلي الجنوب و المشرق ازدادوا سوادا ،حتى ينتهوا إلى السودان ،فيكون الناس فيها أشدّ الأمم سوادا) .[4]

---

1 – أقاليم في توات.

2 – محمد تختوخ ، المرجع السابق،ص97.

3 – حاج أحمد نور الدين ،المرجع السابق ،ص19.

4 – أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الفارس الإصطخري، **مسالك الممالك** ،تح: محمد صابر عبد العالي ،مطبعة بريل ،لندن،1937، ص04.

وذكر اليعقوبي في كتابه البلدان قوله :(ومن سجلماسة[1] لمن سلك متوجها القبلة يريد أرض السودان ،يسير في مفازة و صحراء مقدار خمسين رحلة ،ثم يلقاه قوم يُقال لهم أن يبقمن صنهاجة في صحراء ليس لها قرار يتلثّمون بعمائمهم ،و لا يلبسون قمصانا ، إنما يتوشحون بثيابهم ، و معاشهم من الإبل، ليس لهم زرع و لاطعام). [2]

وجاء في كتاب وصف إفريقيا لحسن الوزان :(تسابيت إقليم مأهول في صحراء نوميديا ، على بعد مائتين و خمسين ميلا شرق سجلماسة ، و مئة ميل من الأطلس يضم أربعة قصور [3]، و قرى عديدة ،سكانه فقراء ، لا تنبت أرضهم غير التمور و قليل من الشعير ، بشرتهم سمراء ، إلا أن نسائهم جميلات سمراوات ،.. ووصف تيكورايين بأنه منطقة مأهولة في صحراء نوميديا بعيدة بنحو مئة و عشرون ميلا شرق تسابيت ،حيث يوجد بها ما يقارب خمسين قصر و أكثر من مئة قرية بين حدائق النخيل و سكانها أغنياء لأنهم إعتادوا الذهاب بسلعهم لبلاد السودان ...)[4].

وذكرها الرحالة ابن بطوطة حين قال: (و قصدت السفر إلى توات، ورفعت زاد سبعين ليلة ،إذ لايوجد الطعام بين تكدا وتوات ...)[5].

---

[1] - سلجلماسة:إقليم يستمد اسمه من المدينة الرئيسية فيه ، ويمتدّ على طول واد زيز ، استولى على هذا الإقليم بنو مرين بعد اضمحلال مملكة الموحدين ، والمشهور أنها من تأسيس بني مدرار الخوارج سنة 140هـ، أنظر:الحسن بن محمد الوزان الفاسي ،**وصف إفريقيا**، ت:محمد حجي و محمد الأخضر ، ج2،ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،1983،ص ص 120-121.

2 -حاج أحمد نور الدين ،المرجع السابق ،ص20.

3 - القصور عبارة عن تجمع سكاني يرتبط سكانه فيما بينهم من ناحية القرابة أو المصالح المشتركة ،و تجمع بينهم علاقات إجتماعية أدّت بهم إلى السكن الجماعي داخل القصر ،أنظرمحمد الصالح حوتية ،المرجع السابق ،ج1،ص29.

4 - الحسن بن محمد الوزان الفاسي ، المصدر السابق ،ص133 .

5 - ابن بطوطة ، **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار** ،ج2 ، ط 1،المطبعة الحجرية لصاحبها عمر حسين الخشاب، مصر ،1322هـ،ص251.

أما العياشي في رحلته قال: (دخلنا أول عمالة توات، و هي قرى تسابيت ، زرنا في أول قرية منها قبر الولي الصالح سيدي محمد بن صالح...و قمنا بها ستة أيام وبعنا فيها خيلنا، و ماضعف من إبلنا، و أشترينا مانحتاج اليه من التمر ،و بها أنواع كثيرة ، ووجدنا التمر فيها رخيصا...)[1].

ووصفها ابن خلدون بقوله:(وفواكه بلاد السودان تأتي من توات و تيكورارين ووركلان)[2].

وفي «مناهل الصفا» لعبد العزيز الفشتالي قال: (قطر توات أوسع وطنا و أفسح مجالا وأقرب إلى السودان إتصالا و جوارا...)[3].

وذكر ابن المنطقة محمد بن عبد الكريم البكراوي التمنطيطي في كتابه "درة الأقلام":(توات هي صحراء في أعلى المغرب ذات نخيل و أشجار و عيون ،بينها و بين سجلماسة ثلاثة عشر يوما جنوبا، و غربا عشرين يوما لأول السودان...).

ووصفها أحمد الادريسي الطاهري في كتابه "نسيم النفحات"فقال :

(توات أرض ذات سباخ كثيرة الرمال و الرياح لا يحيط بها جبال و لاأشجار ،شديدة الحرارة المفرطة لا يكاد ينبت فيها إلا النخيل ...).

وقال عنها صاحب كتاب نقل الرواة عمن أبدع قصور توات الشيخ البداوي:

(توات هي من الواحات العامرة بإقليم الصحراء...)[4].

---

1 – أبو سالم عبد الله محمد العياشي ،المصدر السابق،ج1،ص74.

2 – عبد الرحمان ابن خلدون ، **المقدمة** ،المصدر السابق ،ص93.

3 – عبد العزيز الفشتالي ، **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا** ،تح:عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف ، المغرب 1972،ص73.

4 – عبد الحميد بكري، المرجع السابق ، ص16.

ومرّ ابن الدين الاغواطي في رحلته بها، ووصف طريق القوافل من السودان إلى واحة توات [1].

وفي كتاب إفريقيا لمارمول كاربخال يذكر إقليم توات باسم تيكورارين فقال: (تقع هذه المنطقة بصحراء نوميديا ...يسكن أهلها بخمسين قصرا متفرعة و بأكثر من مائة مدشر وسط النخيل الفسيح،أهل تيكورارين أغنياء ،و يتنقلون كثيرا إلى السودان من أجل التجارة التي تدّر عليهم أرباحا طائلة...). [2]

أما شيخنا الجليل صاحب رسالتنا محمد بن عبد الكريم المغيلي فقال مقولته الشهيرة : (دخلنا أرض توات فوجدناها أرض علم وبركة فانتفعوا بنا و انتفعنا بهم)[3].

ج- تحديد منطقة توات:

الموقع الجغرافي :

يقع الإقليم في الجنوب الغربي للجزائر ،وهو مجموعة من واحات الصحراء الجزائرية ،تؤلف في مجموعها إقليم عبور مابين سفوح الأطلس الجنوبي و بلاد السودان[4].

وإقليم توات يعني اليوم ولاية أدرار ،بإستثناء منطقة تنزروفت الحديثة ،ومنطقة عين صالح التابعة لولاية تمنراست. و هي تتوزع تاريخيا على أقاليم ثلاث :[5] (توات الحنّة –الوسطى- من تسابيت إلى

1 – الحاج ابن الدين الأغواطي ،**رحلة الأغواطي الحاج ابن الدين في شمال إفريقيا و السودان و الدرعية** ، تح:أبو القاسم سعد الله ،دار المعرفة الدولية،الجزائر ،2011،ص 95 .

2 - مارمول كاربخال، **إفريقيا**، تر:محمد حجي و آخرون، ج3، دار المعرفة ،الرباط، 1984،ص.163(تعني تيكورارين الثكنات العسكرية بالبربرية و تسمى اليوم كورارة و تقع شمال توات (المترجم).

3- عبد الله كروم، المرجع السابق، ص30.

4 – محمد الصالح حوتية ،المرجع السابق ،ج1ص28.

5 – أحمد أبالصافي جعفري ،المرجع السابق ،ص74.

رقان)، (منطقة تيديكلت–منطقة أولف–) و (منطقة قورارة–منطقة تيميمون–)،و تبعد أقرب نقطة منه عن العاصمة الجزائرية بحوالي 1500كم. [1]

يحدّه شمالا العرق الغربي الكبير ،و واد مقيدن و هضبة تادمايت، و من الجنوب صحراء تنزروفت و وادي قاريت و جبال مويدرا أو هضبة مويدير [2] ، ومن الشرق العرق الشرقي الكبير و وادي الماية ،و يحدّه من الغرب واد الساورة و روافده ، حيث يشكل هذا الواد الطريق التجاري لإقليم توات .[3]

الموقع الفلكي : تقع منطقة توات فلكيا بين خطي طول 4° غربا إلى 1° شرقا، و بين دائرتي عرض 26°-30° شمالا .[4]

د– المظاهر الطبيعية :

التضاريس: يتكون السطح الأرضي للإقليم من:

الحمادة ، الرق ، الكثبان الرملية المرتفعة التي جلبتها الرياح،و يوجد العرق الشرقي الكبير و العرق الغربي الكبير، والسبخة.

المناخ: يسود الإقليم مناخ صحراوي جاف ، شديد البرودة شتاءا ،شديد الحرا رة صيفا،و تصل درجة الحرارة القصوى إلى 50°، و المتوسطة إلى 40 °،أما الأمطار فهي شبه معدومة .[5]

---

1 – عبد الله كروم ، المرجع السابق ،ص22.

2 – جاءت بهذا اللفظ في كتاب عبد الله كروم ، انظر: عبد الله كروم ، المرجع السابق ،ص22.

3 – حاج أحمد نور الدين ،المرجع السابق ، ص24 . محمد تختوخ ،المرجع السابق ، ص 95.

4 – محمد الصالح حوتية، المرجع السابق ،ج 1،ص28.

5 – فرج محمود فرج ، **إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر و التاسع عشر** ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1977، ص ص1-3.

الرياح :تعصف بالإقليم رياح جنوبية تدعى الشهيلي أو أريفي، أما الرياح التي تنجرّ عنها زوابع رملية فهي رياح جنوبية شرقية يسميها الفرنسيون(**sirocco**)[1]

الأودية : *واد أمقيدن وهو إمتداد لوادي سقور الذي ينبع من المنيعة و ينتهي بمنطقة قورارة.

*واد مسعود وهو عبارة عن تلاقي لوادي قير مع وادي زوز سفانة بمنطقة فقيق و يتجه جنوبا ، يطلق عليه اسم وادي الساورة ويتجه غربا ثم جنوبا ليسمى وادي مسعود .

*واد قارية : يأتي من الشمال الشرقي لمنطقة تيدكلت باتجاه الجهة الجنوبية الغربية ليكون رافدا لواد مسعود[2]

هـ– التركيبة البشرية : تتكون توات من مزيج من الأجناس وهي :

البربر: هم أول من قطنوا توات و عمروا بها خاصة قبائل زناتة ،و ذلك قبل دخول الإسلام لبلاد المغرب لسنوات طويلة و كل الآثار و النقوش على الصخور تدل على أن البربر أقدم من سكن المنطقة. [3]

العرب :كان وصولهم إلى توات بقصد نشر الإسلام ، و ممارسة التجارة ،فتوافدت الهجرات العربية للإقليم مع مطلع القرن 7هـ–13م في شكل تجمعات و هجرات فردية طلبا للأمن والإستقرار و من أهمها :

هجرة الأشراف الذين يتصل نسبهم بالحسن و الحسين أبناء سيدنا علي كرم الله وجهه .

1 – عبد الله كروم ، المرجع السابق، ص25.

2 – محمد الصالح حوتية ،المرجع السابق ،ص ص82 –83.

3 – حاج أحمد نور الدين،المرجع السابق ،ص 24.

أما عرب المعقل[1] فدخلوا شمال إفريقيا مع الهلاليين، إضافة إلى قبيلة كنتة التي ينتهي نسبها إلى عقبة ابن نافع الفهري.

الزنوج :يتواجدون بشكل كبير في الإقليم [2]و يذكر السعدي في كتابه تاريخ السودان كما ذكرنا سالفا حول تخلف بعض جنود السلطان كنكن موسى ملك مالي في القرن 8هـ لمرض أصاب أرجلهم فاستوطنوا المنطقة ،و تزايد عددهم[3].

اليهود:

هم أقل شريحة من حيث العدد بتوات ،ووجودهم بالمنطقة مرتبط أساسا بالتجارة ،فهم تجار يتقنون هذه الحرفة بشكل كبير.[4]

[1] – عرب المعقل : جماعات من البدو الرحل من جنوب الجزيرة العربية ، استغلوا ضعف النفوذ المريني بتوات ، فبسطوا نفوذهم ، وبقيت لهم الزعامة إلى القرن 16م ،أنظر : فرح محمود فرح ،المرجع السابق ،ص16.

2- زينب سالمي ، المرجع السابق ،ص27 .

3 –عبد الرحمان بن عبد الله السعدي ،المصدر السابق، ص7 .

4 – حاج أحمد نور الدين، المرجع السابق، ص25(سيتم التفصيل في تواجد اليهود بالمنطقة في المبحث التالي).

2- الأهمية الاقتصادية لإقليم توات :

إن الدارس لمنطقة توات من الجهة الاقتصادية و الناظر في هذا الأمر لابد له من الوقوف على ثلاث ميزات تعتبر الركيزة الأساسية للاقتصاد في ذلك الوقت و هي الزراعة ،الصناعة ، التجارة .

أ- الزراعة: تعتبر أهم مورد إقتصادي لسكان توات ،بواسطتها يلبّون حاجياتهم اليومية ، رغم صعوبة المنطقة و شدة الظروف المناخية باعتبارها منطقة جافة، مرتفعة الحرارة بالصيف ،لذلك كانت أغلبية السواقي بتوات مغطاة بالصخور لمنع تبخر الماء الموجود بها ، فكانت الزراعة بتوات مستقرة وذات مردود و نتاج بفضل الأودية الجارية المتصلة بها .[1] أين تتوفر المنطقة على ثلاث أودية كما سبق أن ذكرنا، ولكن بسبب بعدها عن منابعها ،إضافة إلى الطبيعة الرملية للتربة في كثير من المناطق التي تمر عليها ، لم يكن لها دور مباشر في النشاط الزراعي ،إلا أنها ساهمت في تكوين طبقات من المياه الجوفية لتتشكّل من مياهها حوضٌ مائي ،[2] و الذي يعتبر المنبع الأساسي لمياه الفقارات .[3]

و هذا النظام في السقي يعمل على شكل نفق ضيّق ، بشكل ثقب في الأرض يربط سلسلة من الآبار يجمع هذا الثقب المياه من ينابيع تقع في مستويات مختلفة حسب تضاريس الأرض و تحفر الآبار في منحدر بسيط بحيث يكون بعضها فوق بعض ،وتفصل بين البئر والأخرى مسافة معينة ،

---

1 - عبد الحميد بكري ،المرجع السابق ،ص39.

2 - محمد الصالح حوتيه ،المرجع السابق،ج1،ص ص82-83.

3 - المعنى اللغوي للفقارة،قد يكون أصل هذه الكلمة من فقأ بمعنى شقّ،فقأ البثرة أي شقها لإخراج مافيها ،و قد يكون من فقرة :جمع فقرات مصدرها فَقُرَ،فَقَارة ،أي فقرة من عظام السلسلة الظهرية ،أنظر: المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم ، **المعجم العربي الأساسي** ، تونس ،المنظمة ،1989،ص945

—و يضيف الأستاذ محمد صالح حوتية معنى أخر وهو الفجارة :جمع فجارات و هي من التفجر ،و منه قوله تعالى «فنفجر الأنهار خلالها تفجيرا» و قوله:«و إن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار» ،انظر: محمد الصالح حوتيه، المرجع السابق ،ص84.

كما يتميز البئر الأعلى عن الأدنى ب انحدار بسيط يسمح بجريان الماء من خلال الأروقة الباطنية ، فتتدفّق المياه من بئر لأخرى لتنتهي في حوض إستقبال ليتمّ توزيعها للسقي و الاستعمال المختلف[1].

وحول أصل و مصدر هذه الطريقة التي عرفت منذ القديم و لازالت إلى الآن ، طرحت عدة نظريات خاصة تاريخ إيجادها بتوات فيرى (**A.G.P. MARTIN**) بأنه بعد سقوط دولة العبيديين بمصر هاجر عدد من العبيديين إلى إقليم توات و تمبكتو، و أقاموا قصورا و نظّموا السقي بأسلوب التُرَعْ تحت الارض وسموا الطريقة بالفقارة. [2]

ويرى المؤرخ محمد بن عبد الكريم البكري بأن هندسة الفقاقير بتوات كانت من صنع الأقباط المصريين ، بحكم أن هذا النظام موجود بمصر منذ عهد الفراعنة ، و هناك من يزيد على هذا القول بأن زليخا زوجة عزيز مصر كانت من تمنطيط [3] ،و ماهذا إلاّ نتيجة للعلاقات الموجودة و الروابط المتصلة .[4]

---

1 - محمد صالح حوتية ،المرجع السابق،ج1،ص85.

2 - MARTIN.A.G.P.: Ibid .P.29.

3- تمنطيط :يقول جاكوب أوليل أن كلمة تمنطيط كلمة بربرية ، تتكون من شقين : أمان :أي الماء ،و تيت : أيالنبع، ومعناها نبع الماء ، أنظر : JACOB OLEIL ,**Les juifs au Sahara** ,**le touat au moyen âge** , cnrs édition, paris,1994,p41-45.

أما عبد الحميد بكري فيرى أنها كلمة أعجميّ بلغة زناتة يعني :تمي:الحاجب،و تيط:العين و بالعربية حاجب العين ،وهي بلدة من أقدم بلدات الصحراء ،و يرى المؤرخون أنها أدركت الم للل الثلاث ة :التوراة-الإنجيل ،الفرقان وأول من ابتدأ عمرانها القبط ،و أن مياهها الجارية تحت مساكنها من هندستهم ،و كهندسة هامان لفرعون مجاري الماء تحت مساكن مصر حيث قال :«وهذه الأنهار من تحتي » ،فكانت تمنطيط في ذلك الوقت تابعة لمصر،كما سكنها اليهود و اتخذوها دارا، و أتقنوا بناءها و لهم في ذلك قصور كأولاد يحي ...،ثم طالبهم البربر بالإسلام ... ،سيتم التفصيل في تاريخ وجود اليهود بالمنطقة في المبحث التالي ،أنظر عبد الحميد بكري ، المرجع السابق، ص19.

4 - عبد الحميد بكري ،المرجع السابق،ص41.

أما الأستاذ محمد الصالح حوتيه فاستدل بعدّة آراء منها: دراسة للنقيب لو(**LO**) في كتابه **les foggaras du Tidikelt**)، حيث يرى بأن أصلها إيراني ، و يعود سبب وجودها في توات إلى فرار جماعة من البرامكة من بغداد بعد نكبتهم على يدّ الرشيد ،الذين قدم بعضهم حسب الرواية الشعبية إلى قصور توات السفلى ،فنقلوا طريقة حفر الفقاقير التي كانت مشابهة لما كان جاريا العمل به في إيران. [1]

وذكر محمد باي بالعلم نقلا عن مخطوط المهداوي :أن الجالية اليهودية التي نزحت إلى توات في وقت بعيد هي من إختطّت الفقارة و استدلّ في ذلك على أن هؤلاء حينما أُبعدوا من المدينة المنورة قاموا بحفر فقاقير توات مشابهة لما يُعرف بالشراج بالمدينة المنورة ، إلاّ أن عبد الحميد بكري استبعد ذلك ،مبررا رأيه أن عمل الفقاقير هو عمل من يستقر و يطلب البقاء ، و اليهود كانوا أهل تجارة ومال، ينزلون حيث مصالحهم .

وهناك من يرجّح بأن البربر من قبيلة زناتة الذين استوطنوا المنطقة قد يكونون هم من إختطّ و حفر الفقارات.[2]

و رغم كل هذا الاختلاف في أصل هذه الطريقة ، فالمؤكد في الأمر أن تراجع كميات مياه الينابيع عندما بدأت تجفّ في القرن 10م أي 4هـ جعلت السكان يبحثون عن الماء بطرق شتى لجلب المياه الجوفية، إلى أن اهتدوا إلى طريقة السقيّ بالفقارة. [3]

1 – محمد الصالح حوتيه، المرجع السابق، ج1، ص87.

2 – عبد الحميد بكري ،المرجع السابق ،ص41.

3 – محمد الصالح حوتيه ،المرجع السابق ،ج1 ،ص 87.

ومن أهم المزروعات التواتية زراعة النخيل ، فهم يهتمون به بالغ الأهمية لما فيه من فائدة ترجى[1] إضافة إلى القمح الذي يحتل المرتبة الثانية و كذا الشعير ،الحنا و حتى تسمى منطقة توات السفلى بتوات الحنا .

أما عن الثروة الحيوانية فتتمثل في الأغنام ، ولكن بشيء قليل لندرة المراعي ،أما الإبل فتكتسي تربيتها أهمية خاصة كوسيلة للنقل و مصدر للتغذية و توفير الوبر.[2]

ب– الصناعة: ا شتهر أهل توات ببضاعتهم المحلية اليدوية، فصنعوا من الجلود الأحذية و الأفرشة و السروج ،و غزلوا النسيج و القطن و الصوف و خاطوا الملابس كالبرانس و الإزارات ،و صنعوا الأدوات المستعملة في الفلاحة و السفر ، وصنعوا أبواب بيوتهم من الخشب المؤخوذ من النخيل في سقف المنازل.

غير أن المنطقة إفتقرت إلى المواد الأولية لهاته الصناعات ،فكانت تجلب من القوافل القادمة من الشمال والمتوجهة نحو بلاد السودان الغربي ،و أكبر المدن الصناعية بتوات مدينة تمنطيط ،فقد كان بها أغلبية التجار و الحرفيين و الحدادين ،فضلا عن محلات كثيرة للعطور و تجار ة الذهب[3] ،حيث كانوا لا يستعملون أية عملة سوى الذهب[4].

ج–التجارة

يرتبط الإنتاج الزراعي و الحرفي بالنشاط التجاري ، ولعلّ موقع توات الإستراتيجي يعتبر عاملا

1 – عبد الحميد بكري ، المرجع السابق ،ص39.

2 – محمد الصالح حوتيه ،المرجع السابق ،ص ص 115-127.

3 – عبد الحميد بكري ،المرجع السابق ،ص38.

4 – حسن الوزان ،المصدر السابق،ج2.ص250.

مساعدا لتجار توات ، فهو الممرّ الطبيعي لتجارة السودان الغربي ،و لبضائع بلاد المغرب ، فأصبح حلقة وصل بين الجنوب الغربي و غرب إفريقيا . و تعتبر مركز إنعاش لتجارة القوافل .[1]

فالقوافل التواتية التي كانت تضمّ عدة رجال ، يقدمون الخدمات الضرورية للمسافرين كالغذاء و الماء و الكلأ للدّاوب ، كما يتم تغير الجمال و الأدلاّء فالدليل له معرفة جيدة بالمسالك الصحراوية ولهم دراية بالنجوم و منازلها ،و الطبيب له معرفة بالأعشاب المفيدة لبعض الأمراض أثناء السفر ،و الفقيه المتمكّن في الأمور الشرعية فيُستفتى عمّا بدا من تساؤلات تتصل بالأمور الدينية ،إضافة للحراس المكلفين بحراسة القافلة، و إبعادها عن أماكن الخطر .[2]

و أوضح ابن خلدون أن الطريق إلى بلاد السودان مرورا بتوات اكتسى هذه الأهمية إثر تعرض طريق خط السوس ولاّته إلى غارات البدو المستمرة [3]، فاستغل أهل توات موقع إقليمهم الوسط بين أسواق الشمال المغربي والجنوب السوداني فاشتغل أكثرهم بالتجارة كوسطاء أو أدلاء أو شركاء ،و أقاموا بتوات مراكز لتجمع التجار ولخزن البضائع[4] ، وكانت الطرق الصحراوية التي تتفرع من توات تتجمع في إتجاهين، شمالي و جنوبي :

*فالشمالي يربط بين توات و أسواق شمال المغرب العربي و هو بدوره يتشكل من ثلاث طرق رئيسية :

فالطريق الأول تسلكه القوافل المتجهة إلى المنيعة، غرداية ،الشرق الجزائري و كذلك إلى غدامس ، طرابلس،جنوب تونس و بالعكس.

---

1 – محمد الصالح حوتية ،المرجع السابق ،ج1،ص145.

2 – نفسه ،ص167.

3 –«وطن توات و هو بلد مستبحر في العمران،و هو ركاب التجار إلى مالي ...و لا يمر الوارد إلاّ بدليل من الملثمين الظواغن في تلك القفر...» أنظر: عبد الرحمان بن خلدون ، المصدر السابق ،ج7، ص 118.

4 – فرج محمود فرج ، المرجع السابق ،ص 15.

أما الطريق الثاني وسط شمالي، يخرج من قصر أولاد عيسى و يخترق العرق الغربي الكبير حتى يصل مجرى واد الناموس، و تستعمله قوافل عين الصفراء ، مشرية ، آفلو ،سعيدة ،و الوسط الجزائري

و الطريق الثالث و هو الشمال الغربي ، و كانت يتبع مجرى واد الساورة ،و تسلكه القوافل المتجهة إلى الغرب الجزائري و أسواق سجلماسة و تافيلالت ،مراكش ،فاس بالمغرب.

* الإتجاه الثاني الجنوبي : يربط توات بأسواق السودان الغربي إنطلاقا من عين صالح إلى أرض قبائل التوارق (تمنراست) ،تسلكه قوافل تجارية باتجاه تمبكتو[1] التي تكتسي أهمية خاصة في النشاط التجاري التواتي،[2] فهي مركز للمقايضة بين السودان الغربي و التجار العرب. [3]

كانت هذه العملية أي المقايضة و البيع و الشراء تتمّ عبر أسواق محلية أو جهوية أو مراكز تجارية، فالأولى يرتادها سكان القرية التي يتواجد بها السوق ،أو أسواق جهوية تصلها جماعات من التجار من خارج المنطقة ،أو في المراكز التجارية الهامة كمركز توات ،و من بين عمليات المقايضة التي كانت تتم على سبيل المثال :واحد كيلوغرام من القمح يعادل خمس كيلوغرامات من الفلفل الحار.[4]

كما ذكر ابن الاغواطي إحدى أنواع المقايضة التي كانت تتم بين السودان الغربي وتوات فقال:(فالبضائع المستوردة من السودان هي العبيد و تراب الذهب مقابل ذلك تصدر توات و قورارة الحرير و الحديد و الزجاج وأمثالها من السلع.[5]

و عموما كانت السلع التواتية عبارة عن : الملابس المطرزة ،أسلحة ،تمور،حناء...أما القوافل القادمة إلى توات فكانت محملة بالفلفل، الصمغ العربي، السكر ،الشاي.

1 – فرج محمود فرج ،المرجع السابق ،ص78 .

2 – محمد الصالح حوتية ،المرجع السابق ،ج1،ص 144.

3 – إبن الدين الأغواطي ،المصدر السابق ،ص95.

4 – محمد الصالح حوتية ،المرجع السابق ،ج1،ص171.

5 – إبن الدين الأغواطي، المصدر السابق ،ص95.

أما تجارة الذهب فتعدّ من أهم الأنشطة بتوات ،و كان اليهود يسيطرون عليها سيطرة كاملة ،ففي تمنطيط وحدها كان فيها أكثر من 360 صائغا يهوديا ،كما كان للتجار التواتيين و كلاء خاصين بهم في جميع المناطق التجارية خصوصا ببلاد السودان،و مما يدل على أهمية هذا الإقليم تلك الرسالة التي أرسلها أمير برنور سنة 851هـ يشكوا لعلماء توات من قلّة توارد قوافل تجار توات على بلده في تلك السنة و التي قبلها.[1]

لقد مكنت التجارة الصحراوية توات من احتلال مكانة هامة ،و إقامة علاقات وثيقة مع ممالك السودان الغربي خاصة ،ما لبثت أن تحولت إلى علاقات ثقافية ،و روحية بفضل هذا الإحتكاك،[2] فتلك الطرق التجارية هي ذاتها التي سلكها العلماء و المصلحون من أمثال الشيخ المغيلي و غيره ، و سلكها الرحالة الجوالون أمثال ابن بطوطة و غيره، إضافة إلى قوافل الحجيج .[3]

1 – عبد الحميد بكري ، المرجع السابق ،ص38.

2 – عبد الله مقلاني ،**التراث المخطوط لعلاماء الجزائر في غرب إفريقيا** (محاولة إحصاء و تعريف)، مقال ، مجلة رفوف 2، المسيلة، ص147.

3 – عبد الله كروم ،المرجع السابق ،ص27.

3- الوجود اليهودي بتوات

أ-لمحة تاريخية عن الوجود اليهودي ببلاد المغرب:

تختلط الأسطورة بالتاريخ عندما نحاول الوقوف على بداية الهجرة اليهودية إلى بلاد المغرب، و يظل تحديد تاريخ معين لدخول اليهود و اليهودية إلى بلاد المغرب مجالا خصبا لقصص الكتاب اليهود! التي تعتمد على الإفتراضات[1]، و ماصعب الأمر أيضا احتكاك اليهود بالسكان الأصلين من جهة ،و غموض تاريخ هذه المنطقة في ظل غياب المصادر الأثرية أو المكتوبة من جهة أخرى .[2] لذلك اختلفت الآراء و النظريات التي استند فيها المؤرخون على حوادث تاريخية كبرى ،كان لها دور كبير في عملية الحراك الإستيطاني لليهود ،[3] ويمكن القول أن التواجد اليهودي في المغرب جاء عن طريق تدفق ثلاث هجرات متفرقة:

الهجرة اليهودية الاولى :كانت من فلسطين ،وهي ما يعرف بالأسر البابلي عندما قام ملك بابل نبوخذ نصر بمهاجمة أورشليم عام 587ق.م و أسر يهودها و رحّل الكثير إلى بابل، [4]و يعتبر هذا الغزو الأشهر في تاريخ اليهود و نقطة تحول هامة ،و البداية الحقيقية لشتاته م ،فحينما دخل

---

1 - عبد الرحمان بشير، **اليهود في المغرب العربي** ،(22هـ-462هـ/642م-1070م) ط 1، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الإجتماعية، مصر،2001،ص53.

2 - فاطمة بوعمامة ، **اليهود في المغرب الإسلامي** (خلال القرنين 7هـ- 9هـ /13-15م)، أطروحة دكتورا هـ في التاريخ الوسيط، إشراف الدكتور خالد كبير علال ،جامعة الجزائر بن يوسف بن خدة ،كلية العلوم الإجتماعية و الإنسانية ،قسم التاريخ ،2008-2009، ص13.

3- فوزي سعد الله ،**يهود الجزائر هؤلاء المجهولين** ، شركة دار الأمة ، الجزائر ،1995 ،ص24 .

4- عطا علي محمد شحاته ريّة، **اليهود في بلاد المغرب الأقصى** (في عهد المرينيين و الوطاسين) ،ط 1، دار الكلمة،سوريا ،1999،ص24.

البابليون القدس ، خرّبوها و حطّموا هيكل سليمان عليه السلام ،فمن فرّ من الأسر البابلي اتّجه إلى أصقاع الدنيا المختلفة منها شمال إفريقيا.[1]

وهناك من المؤرخين من استدل في رأيه لإسم مدينة بالمغرب الأقصى تدعى آيت داود يقال أن مؤسسها كان يهوديا من قبيلة يهودا.[2]

الهجرة اليهودية الثانية:هناك من يرى أنهمن المحتمل أن يكون دخول اليهود إلى شمال إفريقا كان مع الفينيقيين[3] الذين وصلوا إلى إسبانيا و المغرب ،[4]حيث وجد اليهود في بلاد المغرب الفينيقية المأوى و القبول والإستيطان. فتوغلوا داخل بلاد البربر بين كثير من قبائل الاطلس و قبائل جنوب المغرب الأقصى. [5]

لم يكن اليهود المهاجرون إلى شمال إفريقيا تجارا و رجال مال مهرة فقط ، بل كانوا من الجنود العسكريين الذين اعتمد عليهم العديد من الملوك لتدعيم جيوشهم،لذلك نجد أنهم لم يستوطنوا المناطق الساحلية فقط بل تواجدوا حتى في المناطق الداخلية، فأخذ اليهود عن الفينيقيين فن ممارسة التجارة،[6] واستقروا على حواف الطرق التجارية العالمية ، وكان تأثيرهم الديني واضحا في تهويد بعض قبائل البربر[7] .

1 – فوزي سعد الله ،المرجع السابق ،ص27.

2 – مارمول كاربخال ،المصدر السابق ،ص 19–20.

3 – جمال حمدان، **اليهود** (أنثروبولوجيا)، تق :عبد الوهاب المسيري ، دار الهلال ، مصر ،1996،ص65.

4– زبيدة محمد عطا، **اليهود في العالم العربي**(دراسة تاريخية في قضايا الهوية ،الإندماج، القدس)، ج1، ط1،دار العين للدراسات و البحوث ،مصر ،2003، ص82.

5 – عطا علي محمد شحاته ريّه،المرجع السابق،ص25.

6 – فاطمة بوعمامة ،المرجع السابق ،ص15.

7 – عطا علي محمد شحاتة رية ، المرجع السابق، ص25.

و تتفق معظم الدراسات على أن الهجرات اليهودية المكثّفة إلى شمال إفريقيا ، بدأت أوائل القرن الثالث ق.م ،فترة حكم بطليموس الأول لمصر[1] حيث ا سْتُخْدِمَ اليهود في حماية قلاع قورنية(برقة) الواقعة على الشاطئ الليبي [2] و كان لليهود في تلك الإدارة النصيب الوافر .[3] يؤيد ذلك عدد من الأدلة المادية كالنقوش و القطع الأثرية[4] والعملات البرونزية عليها نقوش عبرية .[5]

الهجرة اليهودية الثالثة:

حدثت هجرة كبرى أخرى لليهود بعد أن آلت سيادة المنطقة إلى الرومان ،الذين دخلوا إلى فلسطين و حطّم قائدهم تيطس هيكل سليمان عليه السلام للمرة الثانية ،و كان ذلك عام 70م .و نتيجة لهذا الغزو رحل عدد كبير من اليهود نحو شمال إفريقيا .[6]

وفي عام 212م طبق الرومان قانون كركلا الذي يمنح حق المواطنة ، فكانت فرصة لليهود لتقوية أوضاعهم الإقتصادية و الإجتماعية و الدينية ، فحرصوا على إقامة علاقات مع البربر كمحاولة للإندماج معهم، و كسب عطفهم ،بحجة أنهم مضطهدون مثلهم من قبل الرومان، عدوهم المشترك، ومن جهة أخرى كان اليهود يُظهرون الولاء للرومان في مساعدتهم على مراقبة البربر ، الذين كانوا دائمي الثورة و التمرد

وحينما غزا الوندال شمال إفريقيا عام 429م ساعد اليهود المحتلين الجدد على التخلص من الرومان حيث تمتع في عهدهم بسلام نسبي ،مع إبقائهم على تحالفهم مع البربر ، وهذا ما يدلّ على العقليّة اليهودية فيما يتعلق بعلاقاتهم مع الحكومات و الشعوب.

1- عبد الرحمان بشير ، المرجع السابق،ص54.

2 – ز بيدة محمد عطا ، المرجع السابق ،ص82.

3 – مصطفى كمال عبد العليم و سيد فرج راشد ،**اليهود في العالم القديم**،ط1، دار القلم، سوريا ،1995 ،ص249.

4 – زبيدة محمد عطا ،المرجع السابق ،ص92.

5- عبد الرحمان بشير،المرجع السابق،ص55.

6 – فوزي سعد الله ،المرجع السابق، ص82.

وحينما انتصر الرومان أجبروا اليهود على إعتناق المسيحية ،فاضطروا للفرار غربا و جنوبا داخل إفريقيا، و سكنوا الصحراء و الجبال و احتموا بالبربر واختلطوا بهم [1]، خاصة في شمال بلاد المغرب الاقصى ،كمدينة فاس أو في الجنوب بسجلماسة ، ذات المواقع الإستراتيجية بسبب وقوعها على رؤوس الطرق التجارية الرابطة بين بلاد السودان إلى شمال المغرب. [2]

و بعد الفتح الإسلامي انضمت أعداد من اليهود إلى جيوش المسلمين الفاتحين للأندلس ،بعدما طردوا من منها من طرف الإسبان أثناء حكم القوط ،فاستقروا في عدة قرى مغربية و جزائرية، فعادوا إليها ،لكنهم أخرجوا منها بعد سقوط غرناطة، وعادوا ثانية إلى شمال إفريقيا.[3]

ويرى البعض أن هجرات أخرى وصلت إلى بلاد المغرب من خيبر سنة 7هـ/628م،و أن أهلها اتخذوا من الجبال مقرا لحياتهم بعيدا عن الناس[4].

بعد ظهور الاسلام هدأت أحوال اليهود و سكنت نفوسهم ،و استقرت معيشتهم وازدهرت حياتهم الاقتصادية و الاجتماعية و منها الجزائر التي عاش فيها اليهود في ظل الحكم الإسلامي في جو من التسامح و الحرية و العدالة لتظهر مجتمعات منتظمة لليهود في عديد من المدن كقسنطينة ،تلمسان ،توات .[5]

1 – عبد الرحمان بشير ،المرجع السابق،ص57.

2 – عطا علي محمد شحاته رية، المرجع السابق،ص29.

3 – حسن أحمد محمود، **الإسلام و الثقافة العربية في إفريقيا** ،(د د ن) ،القاهرة ،1957،ص91.

4 – عطا علي محمد شحاته رية،المرجع السابق،ص29.

5 – مركز زايد للتنسيق و المتابعة ،**الطوائف اليهودية بالمغرب**،سلسلة دراسات ، إصدار مركز زايد ،أبو ظبي ، (دت) ،ص70.

ب – وصول اليهود إلى توات :

ضمّ إقليم توات جالية كبيرة من اليهود ، والآراء في ذلك مختلفة أيضا ،فمنهم من يرى أن وصولهم إلى الإقليم كان سنة 50ق.م ،و البعض الآخر يرى أنهم دخلوا إليها في عهد الفينيقيين و الرومان،حينما فروا إلى الصحراء نتيجة للإضطهاد الديني الذي تعرضوا له ،لكن بأعداد قليلة . و بعد دخول الإسلام إلى شمال إفريقيا ، لم يبقى أمامهم من خيار غير التأقلم أو الذوبان في المجتمعات الإسلامية،[1] ففضّل البعض منهم الهجرة نحو الجنوب ،و هناك من يذهب إلى أنهم من يهود الأندلس،[2] أما جاكوب (**Jakob Oleil**) فيذكر في كتابه يهود توات ، أن المنطقة شهدت ثلاث هجرات يهودية : الأولى كانت في القرن 2م انطلاقا من ليبيا و صحرائها باتجاه توات ، و الثانية كانت في القرن 6م انطلاقا من الموصل لتتّحد مع يهود خيبر في الصحراء المصرية الليبية وتوجّه إلى توات ، أما الثالثة فكانت من جهة الشمال الغربي من الأندلس في القرن 7م ،لتصل أخيرا إلى توات في القرن 10م. [3]

و بخصوص يهود خيبر يرى كلود مارتن في كتابه الإسرائيليون الجزائريون أن أولئك اليهود فرّوا من يثرب سنة 826م ،واستقروا في مدن شمال الصحراء بمنطقة توات ، غرداية ،القرارة ،تمنطيط ، ورقلة...و يضيف أن أول معبد في توات يعود إلى سنة 517م، و أن سكانها لا يزالون يقدّسون أجدادهم اليهود ،و يتلون على أضرحتهم أدعية للتبرك بهم و هي عبارة عن خليط لغوي من الأمازيغية و العبرية قبل بدء الحرث من كل سنة رغم إعتناقهم الإسلام[4].

1 – محمد تختوخ ،المرجع السابق،ص100.

2 – فوزي سعد الله،المرجع السابق ، ص 49.

5-JACOB OLEIL , Ibid ,p15

4 – نقلها الدكتور إيسلي مقران عن كلود مارتن ،أنظر: إيسلي مقران ، المرجع السابق ،ص 258.

ونقل لنا عبد الحميد بكري رواية أخرى عن الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم ،أنه لما انكسرت دولة زناتة بالمغرب(دولة بني مرين) فرّ اليهود و نزلوا توات ، ولما طالبهم أعيان المنطقة بالإختيار بين الإسلام أو الجزية أو الجلاء ،فأسلم أولاد نسلام و أولاد داوود ، وأولاد يحيى ،و إحتمى هؤلاء ببعض القبائل التي كانت تمنع عنهم ظلم بعض البربر ،و كانوا يقدّمون لهاته القبائل هدايا مقابل ردّ الظلم عنهم ،و أعتبرت هذه الهدايا في مقابل الجزية.[1]

ومن أهم المناطق التي نزل بها اليهود في توات : تيطاف، تخفيف ، تاسفاوت ، واغرملال،تازولت[2]خاصة تمنطيط التي علت فيها شوكتهم ،وزكت أموالهم وسيطروا على التجارة والأسواق ،[3] بحكم أن وجودهم في المنطقة مرتبط أساسا بالتجارة لإتقانهم هذه الحرفة بشكل كبير ، فكان بتمنطيط و حدها ثلاثمائة و ستون صائغا يهوديا، وكان لهم في تمنطيط حي خاص بهم ، وادعت طائفة منهم الإسلام ولُقبوا بالمسلمانيين أو المهاجرية.

ولكون التواتي كثير الثقة بكل من أعلن إسلامه ،فقد تعامل السكان مع اليهود بشكل يو حي أن أهل توات وثقوا في إسلامهم ، حيث قرّبوهم من عيالهم و أهلهم ، وبذلك قويت شوكتهم وأصبحوا من أكبر مموّلي توات ، و سيطروا بشكل كلي على الحرف و التجارة [4].

ونظرا لاسوداد وخبث أفكارهم بدأوا يدبّرون للأمة السوء و الأذى ،مع أن المسلمين آمنوهم على تجارتهم و أموالهم ،لكنهم كعادة أجدادهم يخونون الأمانة .[5]

1 – عبد الحميد بكري ،المرجع السابق ،ص19.

2 – حاج أحمد نور الدين، المرجع السابق، ص 25 .

3 – عبد الحميد بكري ، المرجع السابق ، ص 19 .

4 – حاج أحمد نور الدين ، المرجع السابق ،ص 25 .

5 – عبد الحميد بكري ، المرجع السابق ، ص 19 .

4- مكانة اليهود السياسية و الإقتصادية في توات

السياسة والإقتصاد ظاهرتان حضاريتان متكاملتان مارسهما اليهود في بلاد المغرب الإسلامي ، وكان لحركتهم ونشاطهم الإقتصادي تأثير على ممارستهم السياسة بفضل ما توصّلوا إليه من نفوذ مالي فتح لهم المجال لاعتلاء مناصب عالية.[1]

وقبل الكلام عن مكانة اليهود الإقتصادية و السياسية في بلاد المغرب عموما و توات خصوصا ،لابد من إلقاء نظرة خاطفة على العصر الذي نحن بصدد دراسته (أي عصر المغيلي، القرن 9 هـ/نهاية القرن 15 بداية القرن 16) من حيث الظروف السياسية السائدة لندرك في الأخير أنها السبب في تمكين اليهود من الحياة الإقتصادية وتأثيرها على فكر المغيلي وردّة فعله من الوضع .

و تمكّن اليهود من السياسة و الإقتصاد لم يكن وليد الصدفة في منطقة توات ،لما عرفه هذا الإقليم من تقلبات وتغيرات بسبب الأنظمة المتعاقبة ، وقيام الدول وسقوطها . [2]

و لمعرفة المكانة السياسية و الإقتصادية التي احتلّها اليهود في إقليم توات لا بدّ من رصد تاريخ وصول اليهود لمناصب سياسية هامة في بلاط الدولتين :الزيانية ،والمرينية وتأثير ذلك على منطقة توات.

أ-مكانة اليهود السياسية:

كان الموحدون يسيطرون على بلاد المغرب قاطبة ، ثمّ أخذت دولتهم تضعف شيئا فشيئا فقامت على إثرها ثلاث دول ،بمولدها ولد صراع كبير فيما بينها من جهة ،و داخل الدولة الواحدة من جهة أخرى وهي:

---

[1] - فاطمة بوعمامة ،المرجع السابق ،ص260.

[2] - عبد الحميد بكري ،المرجع السابق ،ص 26.

الحفصيّة [1]، الزيانية [2]، المرينية [3] . فتلمسان عاصمة بني زيان شهدت حالة من الضعف و الانقسام داخليا ، اقتصر نفوذها على مناطق ضيّقة من الغرب الجزائري-حاليا- وأنهكتها بصورة خاصة هجومات المرينين و الحفصيين ، وسعى كل منها لتنصيب الموالين في الحكم و الإطاحة بكل من علا شأنه و قوي نفوذه و أصبح يشكل خطرا على كيانهم.[4]

والصراع الداخلي بين أفراد الاسرة الزيانية من أجل تولية الحكم كان له أثره الكبير على قوة الدولة ،فنادرا ما كان يسود الوفاق بين الأمراء إثر وفاة حاكم وتعيين خلفه، لدرجة الإستعانة بقوى خارجية في تولية مقاليد الحكم. [5] أو التحالف مع الذميين ،ومن هنا بدأت تنشأ علاقات قوية بين اليهود و السلاطين.[6]

فرغم الاستعدادت العسكرية للزيانين وإعلان حالة الطوارئ الدائمة سواء أمام الخطر الخارجي من جيرانها أو الداخلي من القبائل البدوية إلا أنها لم تستطع الإستقرار على حدود ثابتةطول فترة

---

[1] – الدولة الحفصية :كانت اسبق الدول الثلاث ظهورا، واوسعها انتشارا ،أعلن عن تكوينها رسميا أبو زكريا أول أبناءالشيخ محمد عبد الواحد بن يحي أبي حفص الفنتاتي عام 1227م ، واستمرت حتى عام 1574 م ،اتسع نفوذها من طرابلس شرقا إلى عنابة غربا.أنظر:عبد الفتاح مقلد الغنيمي ،**موسوعة تاريخ المغرب العربي ،ج5 ،ط1** ،مكتبة مدبولي ، القاهرة ،1994 ،ص ص16-25.

[2]– الدولة الزيانية :تنتمي قبيلة بني زيان إلى قبائل زناتة ،ظهرت منذ منتصف القرن13م،واتخذت من تلمسان حاضرة لها ، لم تحكم دولة بني زيان سوى الجزء الغربي مما يقابل الجزائر حاليا، وقد كانت مطمع الحفصيين و المرينين .أنظر عبد الفتاح مقلد الغنيمي ،المرجع السابق ،ص17.

[3] – الدولة المرينية :ينتمي قادتها إلى قبيلة زناتة البربر، بدأ ظهورهم في جنوب مراكش في بداية القرن13م ،إلى أن استولوا عليها عام1269م. انظر عبد الفتاح مقلد الغنيمي ،المرجع السابق ،ص22.

[4] -إيسلي مقران ،المرجع السابق ،ص48.

[5] – عبد الفتاح مقلد الغنيمي ،المرجع السابق ،ج6 ،ص132.

[6] – عطا علي محمد شحاتة ريّة ، المرجع السابق ،ص 42.

حكمها ،فبقيت بين التوسع والإنكماش ، خاصة مع وقوف المرينين كعقبة أمام طريق تقدم الدولة الزيانية واتساعها وتحقيق أهدافها في بناء دولة مستقرة.[1]

إن الباحث في تاريخ المغرب الإسلامي يجد أنّ الصراع الذي دام بين الدول الثلاث أكثر من ثلاث قرون لم يكن في صالح القوى الإسلامية بقدر ماكان سببا في جلب الأطماع الأجنبية نحوه (الأوروبية و اليهود).[2]

فاليهود استغلوا ضعف السلطة في بلاد المغرب الإسلامي داخليّا و خارجيّا و تواطؤوا مع بعض الأمراء على مدّهم بالمال والدعاية لهم ،بل و توليتهم السلطة كما سنرى في الدولة المرينية [3]، فتمّ الإعتماد عليهم في النشاط الدبلوماسي لإتقانهم اللغة العربية و اللغات الأوروبية بتوظيفهم كمترجمين لإبرام الإتفاقيات التجارية أو معاهدات الصلح.[4]

ازداد تسلط اليهود في عهد السلطان أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق الذي تولى الحكم في (656هـ-1258م) حينما اختطّ مدينة فاس الجديدة لسكنى أهله وحاشيته ،فكان لليهود وضع داخل هذه الدولة من خلال تعيين اليهودي خليفة بن رقاصة كمشرف على القصر السلطاني(وكان يعصر للسلطان الخمر و يجهز له الخلوة) .[5]

ويظهر الأثر والدور البارز الذي لعبه اليهود في المجال السياسي عند سلاطين بني مرين ،إذ اتخذوهم حجّاباو وزراء، فالسلطان أبو يوسف بن يعقوب (685هـ-706هـ/1286م-1306م)

---

[1] – عبد الفتاح مقلد الغنيمي ،المرجع السابق ،ج6، ص123.

[2] – عبد الفتاح مقلد الغنيمي ،المرجع السابق ،ج6 ،ص142.

3 – فاطمة بوعمامة ، المرجع السابق ، ص264.

4 إعتمد السلطان أبو سعيد المريني على اليهودي شمعون البرانسي كسفير ،وكان له تأثير و نفوذ قوي على الحاكم ،أنظر فاطمة بوعمامة ، المرجع السابق ، ص261.

5 – عطا علي محمد شحاتة ريّة ، المرجع السابق ،ص 38.

استخدم حاجبا[1] يهودياّ و هو خليفة بن حيون بن رقاصة ، وكان بنو رقاصة مداخلين للسلطان يوسف من صغره إلى كبره ، فتقلدوا الوزارة و تعدّدت فيهم الرئاسة و القهارمة[2] .

و استمروا على ذلك مدّة طويلة ألى أن استّفاق السلطان وراجع بصيرته وسرّ في ذلك إلى كاتبه أبو محمد عبد الله بن أبي مدين ،فاعتقلهم سنة 701هـ ، وقتل خليفة الأكبر و أخيه ابراهيم و موسى السبتي و إخوته وأقاربهم ولم يُبقى إلا على خليفة الأصغر تحقيرا له و عبرة لليهود.[3]

وفي عهد السلطان أبو ثابت سليمان بن عبد الله بن يعقوب (706هـ-708هـ /1306م-1308م) عيّن خليفة الأصغر حاجبا له[4] ،وبسبب وشاية منه أُغتيل الفقيه أبو مدين ، وبعدما تنبّه السلطان أعدمه .[5]

وفي عهد السلطان أبو سعيد عثمان الاول (710هـ-732هـ / 1310-1331) وصل التسامح مع اليهود ذروته حينما أمر بالكف عن اليهود ،كما أمر ببناء حيّ خاص باليهود سنة726هـ في مدينة فاس الجديدة.[6]

وبين القرنين(13م-15م) زاد نفوذ اليهود ليس لاهميتهم كمترجمين ،فقد أقدم السلطان أبو بل لما كان لهم من أثر و دور تجاري ومالي وعلمي أيضا ، فقد أقدم السلطان أبو الحسن علي بن

---

1 -الحاجب :يعرفه ابن خلدون بالمزوار و هو يترأس الجنادرة المنصرفين بباب السلطان في تنفيذ أوامره وعقوباته و حفظ المعتقلين في سجونه ، أنظر ابن خلدون ،المصدر السابق ،ج1 ،ص428.

2 -القهرمان :هو القائم على خصوصيات القصر و كل ما تحتاجه عائلة السلطان ،أنظر ابن خلدون ،المصدر السابق ،ج7 ،483.

3 - نجد أن الدولة لم تكن تتدخل الّاتحت ضغط الشعب لان اليهودي لم يكن موضع ترحيب من الجماهير، انظر، عطا علي محمد شحاتة ريّة ، المرجع السابق ،ص46.

4 - لم يتّعض هذا السلطان بما فعله بنو رقاصة بجدّه أبو يعقوب ،و كان عمره11سنة عند نكبة بني رقاصة ، انظر : عطا علي محمد شحاتة ريّة ، المرجع السابق ،ص48.

5 - فاطمة بوعمامة ، المرجع السابق ، ص ص 261-262.

6 - عطا علي محمد شحاتة ريّة ، المرجع السابق ،ص 38.

عنان.[1] (731هـ-759هـ/1330م-1358م) على إسقاط الجزية على اليهود. [2] ومن المعروف أن الجزية أحد شروط عقد الذمة وعدم أدائها يعدّ إخلالا بشروط الاتفاق ،وكانت أسماء اليهود تسجّل في كشوف ، فإذا أُخذت الجزية منهم كتب بها إيصال لليهودي .فكانت تستخدم كمورد من موارد الدولة تقام بها المساجد أو مرتّبات الموظفين... ،لكن ضعف السلطة المركزية نتيجة أسباب كثيرة كالحروب ضد البرتغاليين أوالقبائل المتمرّدة أدى إلى تهرب اليهودمن دفع الجزية فتناقصت، كما أصبح بعض اليهود لا يؤدون الجزية كاملة(كدرهم لكل رأس) [3]،بينما وجد آخرون منهم في بعض المناطق لا يؤدون الجزية تماما مثل يهود توات.[4]

وبعد وفاة أبو الحسن بن عنان انتقلت السلطة الفعلية من يد السلاطين إلى يد الوزراء لدرجة أنهم لم يستطيعوا الدفاع عن أرض الدولة أمام أطماع البرتغالين ،ففي عهد أبي سعيد عثمان الثاني (801هـ-831هـ/1398م-1427م) قام المغاربة بثورة ضدّه لعدم قيامه بحماية سبتة التي استولى عليها البرتغاليون سنة818هـ،[5]حيث بدأت تبرز سلطة بني وطاس [6] ،هؤلاء الذين قام السلطان عبد عبد الحق بن أبي سعيد عثمان (831هـ-869هـ/1427م-1464م) -آخرسلاطين بني مرين-

1 -وعلى هذا السلطان يروي لنا الإمام المغيلي قصة اليهودي الذي كان يخدم هذا السلطان ،فبلغ من الطغيان حتّى غيّر لبعض الصبيان شيئا من القرآن ،حينما مرّ بأحدهم يقرأ الآية الكريمة :{ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ** ﴿٨٥﴾} سورة آل العمران. الآية85، فقال له اليهودي قل "ومن يبتغي الاسلام دينا ،فأسقط لفظة غير ،فاستفتى الفتى في المسألة و أنكره معلمه وأخبر السلطان الذي حلف بقتله...أنظر المغيلي ،**مصباح الأرواح في أصول الفلاح** ، المصدر السابق ،ص 44.

2 - فاطمة بوعمامة ، المرجع السابق ، ص261.

3 - عطا علي محمد شحاتة ريّة ، المرجع السابق ،ص ص43-44.

4 - الحسن الوزان ،المصدر السابق ، ص129.

5 - عطا علي محمد شحاتة ريّة ، المرجع السابق ،ص ص 38-39.

6 -بنو الوطاس :فخذ من بني مرين ،ولكنهم ليسوا من فرع الأسرة المرينية الحاكمة ،والوطاسيون سلالة أمازيغية تنحدر من إحدى فروع قبيلة زناتة البربرية ،كان موطنهم في الأجزاء الشمالية من الصحراء المغربية، وفي القرن 13م نزحواإلى شرق المغرب و عمّروا منطقة الريف: (1465-1553) ،انظر حسن الوزان ،المصدر السابق ،ج2 ، ص ص73-75.

بإنزال وقعة بهم استأصلت الكثير منهم ،ولم ينجوا من هذه المذبحة سوى بعض الوطاسين على رأسهم محمد الشيخ الوطاسي صاحب أصيلة.[1]

وبعد تلك المذبحة ظلّ منصب الوزارة شاغرا بعد مقتل الوزير يحي بن يحي الوطاسي ضمن من قتلوا ،لا يقبل على توليته أحد خوفا من بطش السلطان ، [2] ولما وصلت للسلطان معلومات مفادها أن العامة نقموا عليه لإيقاعه بالوطاسين ،سوّلت له نفسه بتعيين اثنين من اليهود هما هارون [3] في منصب الوزارة ، وشاويل حاجب السلطان ،[4]

و أول شيء قام هذا الوزير و حاجبه هو ضرب أهل فاس و مصادرة أموالهم و التحكم في الأشراف والفقهاء، وفي باقي طبقات العامة [5]، فأفلست الدولة لدرجة أن السلطان وافق على مشاريع الوزير اليهودي في تحصيل عدّة ضرائب من المسلمين ،لملء خزانة الدولة الخاوية .[6] وكان كل كل شيء يقوم به ذلك الوزير بعلم السلطان ،فتحكم في جميع مقاليد الأمور، وأظهر بغظه للمسلمين وعدم احترام المشاعر الاسلامية وإهدار كرامة الإنسان ، فكانت بحق من أكبر مصائب الدهر . كما تمّ تعيين الحسين اليهودي قائدا للشرطة علما أن هذا المنصب لا يسند في الدولة الاسلامية لغير المسلم.[7]

---

[1] –أصيلة منطقة في المغرب الأقصى

[2] – عبد الفتاح مقلد الغنيمي ،المرجع السابق ،ج5، ص17.

[3] –كان هارون أحد الصرافين العاملين في الشؤون الإقتصادية ،استعان به السلطان عبد الحق في سياسته المالية التي لا تحضى بأي دعم شعبي ،وهذا الإختيار يؤكد ما وصلت إليه الدولة المرينية من إفلاس ،أنظر: عطا علي محمد شحاتة ريّة ، المرجع السابق، ص50.

[4] –أبو العباس الناصري أحمد بن خالد السلاوي ، **الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى** ،تح:جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج4،دار الكتاب ،الدار البيضاء ،1997 ،ص96.

[5] – أبو العباس الناصري أحمد بن خالد السلاوي ،المصدر السابق ،ص98.

[6] – عطا علي محمد شحاتة ريّة ، المرجع السابق ،ص 52.

[7] – فاطمة بوعمامة ، المرجع السابق ، ص262.

وصلت الدولة في عهد هذا السلطان إلى درجة كبيرة من الإنحلال و الضعف والتفكك ،واقتربت نهايته ونهاية دولته و من عيّنهم من وزراء و حجاب بعدما أصدر الوزير اليهودي هارون أمرا بالقبض على إمرأة من الأشراف ،وأثقل عليها بالضرب ،فلما توسّلت برسول الله صلى الله عليه وسلم ،زاد في ضربها .[1]

أثار هذا التصرف الناس كثيرا، فلجؤوا إلى فقيه وخطيب مسجد القرويين عبد العزيز بن موسى الورياكلي(توفي 880هـ-1475م)، -كانت له صلابة شديدة في الحق-و اتُّفق على القضاء عليهم جميعا وتمّ ذلك . [2]

لقد ذكرت المصادر العديد من الروايات في تمادي اليهود وتجاوزهم أصول الشريعة بوقوف الحكام معهم في وجه العامة أحيانا،فالونشريسي يمدّنا باشارات قيّمة عن أهل الذمة وأوضاعهم في المجتمع المغربي من خلال النوازل والفتاوى في المعيار التي تدل على كثرة اليهود في المغرب ، وأنهم كانوا ينعمون بتسامحٍ تامٍ ومودّةٍ، [3]كالفتوى التي ذكرها بعنوان: (يمنع أهل الذمّة من اتخاذ شارات المسلمين) في حق الحكيم اليهودي قنبال الذي كان يعمم ويتختّم ويركب السروج...ويلبس أفخر من كبار المسلمين ...مما أغضب العامة. [4] والأكثر من ذلك حمايتهم من بعض كبار الامراء(لأنهم كانو قائمين على تدبير أموال الأشراف). [5] وفي نفس السياق نجد الفقيه قاسم العقباني-سبقت ترجمته-يتّجه برأيه لأكثر من ذلك حيث يُبيّن تواطؤ السكان الأعراب معهم لارتباط مصالحهم

[1] - أبو العباس الناصري أحمد بن خالد السلاوي، المصدر السابق ،ص96.

[2] -ابن القاضي، المصدر السابق ،ج1،ص376.

[3] -كمال السيد أبو مصطفى ، **جوانب من الحياة الإجتماعية و الإقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل و فتاوى المعيار المعرب للونشريسي** ،مركز الاسكندرية للكتاب ، الاسكندرية ،1996 ،ص36.

[4] -أبو العباس أحمد بن يحي الونشريسي، **المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقيا والأندلس و المغرب** ،تح: محمد حجي وآخرون ،ج2،وزارة الاوقاف و الشؤون الاسلامية ،الرباط ،1981 ،254.

[5] -مارمول كاربخال ،المصدر السابق ، ج4 ،ص256.

جميعا،[1]فقال: "و ما يفعله اليهود اليوم في الأسفار من ركوب الخيل في السروج الثمينة ،ولبس فاخر ، والتّحلي بحلية المسلمين .....فمحظور شنيع ومنكر فظيع يتقدّم في إزالته بما أمكن.....بزعمهم أنهم يخافون على أنفسهم و أموالهم إن ظهر عليهم زيّهم الذي يُعرفون به، وهم في ذلك كذابون لما شهدنا من حصول الأمن القوي لهم عند العرب ..لما يُرجى من حصول النفع منهم، فيرضى العربي أن يُستأصل هو وجميع أهله في نجاة اليهودي الذي معه".[2]

ومن صور حماية الحكام لليهود السماح لهم باستحداث المعابد و الاديرة الجديدة في دار الإسلام و هو الأمر الممنوع في الشريعة الإسلامية،ولكن الالواقع يؤكد أن هذا الشرط لم يُنفذ بدقّة،فالمعابد بنيت تحت أنظار الحكام وبمساعدتهم أحيانا ،مثلما جرى في الملاح في مدينة فاس الجديدة ،وفي مدينة توات مما سيحدث غضب الفقهاء على رأسهم الإمام المغيلي.[3]

إن ما كان يحدث في البلاط المريني ومن بعده الوطاسي من تطبيع مع اليهود لم يكن غريبا عنه ما يجري في تلمسان، بخروج السلاطين على التقاليد الإسلامية في حكم رعاياهم ، وحالة التعفن السياسي الذي كان يسودها وانغماسهم في الملذّات و التفسّخ و الإنحلال [4] واستسلامهم للأجانب من اليهود و الإسبان و البرتغالين ،وتعريض البلاد الاسلامية إلى تكالب القوى الأوروبية ضدّها ، فثغور المسلمين غير محصّنة و نفوسهم غير متحمّسة ، والصراع القائم بلا انقطاع.

وبتدهور الأحوال السياسية و تلاحق الأزمات على بلاد المغرب من سقوط دولة بني مرين قبل عام واحد من مجيء الإمام المغيلي إلى توات 870هـ-1465م ،وتمكن الغزو الإسباني من بسبط

---

[1] – بركات اسماعيل ، **الدرر المكنونة في نوازل مازونة**(لأبو زكريا يحي بن موسى بن عيسى بن يحي المغيلي المازوني،ت وفي: 880هـ-1478م)،رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط ،إشراف عبد العزيز فيلالي ،كلية العلوم الإجتماعية و الانسانية ،قسم آثار ،جامعة منتوري ،قسنطينة ،2009-2010، ص98.

[2] – الونشريسي، المصدر السابق و ج2،ص198-199.

[3] – عطا علي محمد شحاتة ريّة ، المرجع السابق ،ص 44.

[4] –ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ،ص677.

سيطرته على مناطق عديدة من المغرب،تأثرت ناحية توات بكل هذه الأحداث بازدياد نفوذ اليهود السياسي أكثر ،واستعمالهم لأموالهم الوفيرة وثراءهم الفاحش في التحكم بأمور المسلمين و أسواقهم وما يتفق ومصالحهم و أطماعهم.[1]

ب – مكانة اليهود الإقتصادية:

يصف ماركس حضارة اليهود بحضارة السوق وعقيدة التاجر ،فلا توجد تقريبا سلعة في أسواق المغرب الإسلامي ولا في حوض المتوسط لم تمر على أيدي اليهود . فالتجارة من أهم الأنشطة الإقتصادية و السياسية التي زاولها اليهود ،لأنها من الثوابت التاريخية المقدسة عندهم . [2] فهي تعتلي منصّة المهن التي اشتغل بها اليهود.

وكان الشّتات من أهم الأسباب التي أدت إلى تفضيلهم هذه المهنة، إذ لم يعد لهم وطن يأمنون إليه ، فحرصوا على أن تكون أموالهم سائلة [3] لتيسير عليهم الإنتقال إذ ما اضطرتهم الظروف الإقتصادية أو السياسية [4] وممارسة اليهود للنشاط الإقتصادي في بلاد المغرب الإسلامي وبروزهم بشكل واضح في ميدان التجارة والصناعة عائد إلى عدم تقيّدهم بحواجز وممنوعات من السلطات السياسية في بلاد المغرب ،بل وكانت لهم امتيازات [5] أسفر ذلك في تكوين سلسلة من التجمعات اليهودية تمركزت على طرق التجارة الكبيرة ، ومن ثم أصبحوا تجارا بالضرورة وبحكم الممارسة حازوا خبرة كبيرة أدت إلى نجاحهم في هذه المهنة [6].

---

[1] – إيسلي مقران ،المرجع السابق ،ص 54.

2 – كواتي مسعود ، **اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى سقوط الدولة الموحديّة** ،(د.د.ن)، الجزائر، 2002،ص،147.

3 – عبد الرحمان بشير ، المرجع السابق ، ص ،99 .

4 – نفسه ،ص86.

5 – فاطمة بوعمامة ، المرجع السابق ،ص 229 .

6 – عبد الرحمان بشير ، المرجع السابق ، ص ،99 .

وقد احتكر اليهود التجارة عبر الموانئ مع دول اوربا ، كما احتكروا الطرق التجارية العابرة للصحراء ، وبلغت ذروتهم في هذا المجال خلال القرن 8هـ -14م خاصة وأنهم تحكموا في كل وسائل الممارسات التجارية ، واستمر إلى غاية القرن 9هـ-15م بنفس النشاط ليتراجع بسبب اكتشاف القارة الأمريكية [1]

والتجارة عبر الصحراء خضعت للتأثيرات السياسية التي عرفتها المنطقة أكثر منه للتطور الإقتصادي للمراكز الثلاث التي كانت مشرفة على هذه التجارة وهي : بلاد السودان، بلاد المغرب الأوسط،دول أوروبا . ويمكن القول أن التجارة عبر الصحراء مرت بثلاث مراحل أساسية لا شك أن اليهود كانوا الطرف الأساسي في رسم خطوطها وقواعدها

المرحلة الأولى : من القرن 2هـ إلى القرن 5هـ /8م -11م وكانت التجارة في هذه المرحلة تتميز بالتبادل الداخلي بمنطقة إفريقيا ولم تمضى إلا سنوات حتى أصبحت واحات المغرب مركزا للقوافل التجارية ومركز استقرار العديد من التجار اليهود ،منهم من استقر في مدينة سجلماسة عاصمة تافيلات الواقعة على الطريق الرابط بين المغرب الأقصى والمغرب الأوسط والسودان الغربي ، فبالتالي هي محطة استراتيجية لعبور القوافل

كما ظهرت جماعات يهودية بتوات، وقورارة ، وجماعات أخرى بورقلة وتقرت ..إضافة إلى مناطق أخرى فما يمكن استنتاجه مما سبق غرس سلسلة من المستوطنات اليهودية موزعة من المحيط الأطلسي غربا إلى الصحراء الليبية شرقا.

المرحلة الثانية : تمتد من القرن 5هـ إلى القرن 8هـ /11م -12م تراجع فيها النشاط التجاري اليهودي لسياسة حكام الدولة المرابطية وبعدها الموحدية تجاه اليهود .

1 - فاطمة بوعمامة ، المرجع السابق ،ص 229.

المرحلة الثالثة : تشمل هذه المرحلة كل القرن 8هـ-14م و جزء من القرن 9هـ-15م وتعدّ العصر الذهبي للتجارة عبر الصحراء فبعد سقوط الدولة الموحدية استعادت الجماعات اليهودية نشاطها الإقتصادي بتشجيع من الحكام المسلمين خاصة من قبل الدولة الزيانية والدولة المرينية لما كانت تدّره هذه التجارة من أرباح على خزينة الدولة ، كما عرفت منطقة الجنوب الصحراوي تحولات سياسية كبرى بعد بروز امبرطورية مالي التي اخضعت كل مناطق العبور والمحطات التجارية الواقعة على سواحل السودان لمر اقبتها [1] فبسجلماسة ظهرت الجماعة اليهودية من جديد بعد سقوط الدولة الموحدية حيث كانت لهم علاقات تجارية واسعة مع يهود تلمسان ومراكش وتونس [2]، فسيطروا على تجارة الذهب المجلوب من غانا إضافة إلى ذلك فهي سوق لبيع منتوجات توات و تسويقها إلى مدن المعرب الإسلامي من فاس وتلمسان وإلى أوربا [3] .

ووسط هذه الحركة التجارية الكبيرة برزت واحة توات كقطب تجاري مهم ذ اكثافة سكانية يهودية مرتفعة تدور في فلكه بقيّة المدن التجارية الصحراوية ،[4] حيث تعتبر الباب الثاني الذي يصل بلاد المغرب بالسودان ، ولم يتعرّض اليهود المقيمين بها لسياسة الموحدين المعادية لهم ،فزادت حركتها التجارية خلال القرن 8-9هـ/14-15م ، فأصبحت منطقة توات تعرف بمنعطف النيجر وامبراطورية سنغاي ،[5] ففي هذه الفترة كانت واحات توات عبارة عن ممالك التجار والأمراء وذوو الجاه والنفوذ الديني والإقتصادي .[6]

1 - فاطمة بوعمامة ، المرجع السابق ،ص ،247-251.

2 - نفسه ، ص،253 .

3 - إيسلي مقران ، المرجع السابق ، ص، 287 .

4 -JACOB OLEIL .op.uit.p.p.79-80

5 - فاطمة بوعمامة ، المرجع السابق ،ص ،253.

6 - ايسلي مقران ، المرجع السابق ، ص، 289.

فتعد تجارة القوافل ليهود توات المصدر الأساسي لعيشهم مما جعل حاخامات الجزائر يلتفون حول بعض القضايا الدينية التي كانت تمنع اليهود من متابعة نشاطهم ، والقيام بأي عمل ، كتحريم العمل يوم السبت . فأصدرت الحاخام ريباخ (1408م) فتوى أجاز فيها لليهود متابعة سيرهم يوم السبت شرط أن يكون خروج القافلة قبل حلول هذا اليوم بثلاث أيام [1] وتجارة القوافل المربحة استرعت إهتمام بعض الأجانب المغامرين الذين حاولوا أن يصلوا إليها ليطّلعوا على حقيقة الأمور ، وينالوا من ثروتها وبضائعها خاصة الذهب والعبيد.

ومن هؤلاء الرحالة الجنوي أنطوان مالفانت **Antoine/malfante** الذي زار المنطقة الممتدة من تلمسان إلى تمتطيط عام 1447م حيث قال عن يهود المنطقة انهم كانوا يعيشون حياة إجتماعية هادئة [2] والصلة بين تلمسان وتوات كانت وثيقة من الناحية التجارية ، فالتلمسانيون كانوا يتخذون لأنفسهم مندوبين وعمالا تجاريين بأسواق توات والصحراء ، وحتى الأمراء والسلاطين الصحراويين مثل أمراء التكرور حيث اتخذوا أيضا وكلائهم بتلمسان وتوات .

وكان طريق تلمسان إلى توات ومناطق نهر النيجر الأعلى احدى طرق القوافل التجارية الصحراوية في عصر المغيلي ،وهو الذي سلكه عندما اتجه إلى توات والسودان الغربي .

ومن الأمور التي ساعدت التجار اليهود اضافة إلى ما سبق ذكره من الحرية التي كانوا يتمتعون بها، هي معرفتهم الجيدة لعدّة لغات كالعربية ، الفارسية ، الإفرنجّية ، الأندلسية ...مما سمح لهم بالربط بين أسواق المغرب والمشرق .[3]

1 – فاطمة بوعمامة ، المرجع السابق ،ص ،253.

2 – أنطوان ما لفونت تاجر جنيوي كان مستقّرا في مايورقة ، سافر إلى تمتطيط حيث أقام بها ، ومنها كتب رسالة تتضمن تفاسير مهمة حول الحياة والناس في توات في منتصف القرن 15م . انظر إيسلي مقران ، المرجع السابق ، ص،289.

3 – إيسلي مقران ، المرجع السابق، ص290.

ومن أهم أعمال اليهود التجارية تجارة العبيد أو الرقيق ، وهو ما أكّده ابن حرزاذيق بقوله « يسافر التجار اليهود من المشرق إلى المغرب ويجلبون الخدم والجواري والغلمان [1] » ، فوجد اليهود في هذه التجارة أرباحا طائلة، [2] وكان المصدر الذي تأتي منه هذه التجارة لبلاد السودان المغربي .

و توات في عصر المغيلي كانت عامرة بالأسواق والبضائع التي ظهرت بها خاصة بتمنطيط، فكانت آنذاك من أكبر مدنها حركة ونشاطا ومركزا لتجارة الذهب والعبيد وموردا للركبان [3].فممّا لاحظه المغيلي في حياة شيخه يحي بن يدير نفوذ اليهود التجاري ، واشتغالهم بأغلب الحرف المربحة – كما سبق ذكره- فلم يعجبه الإستعلاء الذي كانت عليه الجالية اليهودية بتوات ،حيث كانوا يدخلون حتى في القتال الذي يكون بين القبائل التواتية ، كما أنهم ملكوا الرقيق الذين ثَبُتَ إسلامهم ، ولم يكن لهؤلاء اليهود علامة تميّزهم عن بقية السكان المسلمين ، ويزاحمون ويضيّقون على المسلمين في تجارتهم.[4]

وعن البضائع التي كانوا يصدرونها إلى الخارج فهي :

المنسوجات الصناعية : كالكتان، القطن ، أنواع السجاد ، الحرير .....

المعادن الثمينة : كالذهب والفضة وآخرى مثل الرصاص ، العاج...

المنسوجات الزاعية : كالزيت ، الصابون ،الشمع ، الزعفران ، نبات الصباغة ، القطران ،القمح الشاي ، ريش النعام ، الجلود...، وكانوا يهربون التوابل الشرقية ،المسك ، الكافور ، العقاقير [5] .

1 – أبو القاسم عبيد بن عبد الله إبن حرزاذية ، **المسالك والممالك** ، مرا: ج دي خوية بريل ، دار الطباعة مكتبة المثنى ، بغداد ،1989 ،ص،153.

2 – عبد الرحمن بشير ، المرجع السابق ، ص 101.

3 – فرج محمود فرج ، المرجع السابق ،ص53.

4 – إيسلي مقران ، المرجع السابق ، ص 145.

5 – مسعود كواتي ، المرجع السابق، ص، 148.

ومن أبرز النشاطات التي مارسها اليهود **الصيرفة** وهي أسواق لتبديل العملة [1] وبلاشك هي مصدر أرباح فاحشة ،كما اشتغل اليهود كسماسرة في أسواق المغرب [2] ويفيد الونشريسي بأن اليهود كانوا يشغلون غالبا بالمغرب خطّة أو وظيفة الصرف بيت مال المسلمين لخبرتهم في أعمال الصيرفة و الحسابات المالية، فيتولون وزن الدراهم أو الدنانير المقبوضة والمنصرفة ، ويعتمد ولاة الأمر في البلدان المغربية على مايقولونه ويكتبونه في سجلاتهم [3] ،رغم أن الفقهاء وأهل الفتوى كانوا يحثّونهم دائما على عدم إبقاء اليهود في العمل بيت مال المسلمين [4] .

الصناعة : مارس اليهود العديد من الحرف الإقتصادي الراقية التي تعتبر رأس التجارات وجوامع المال كصناعة السيوف ،السلاح ،فن العمارة ،تشيد القلاع ، صياغة الذهب ، الفضة [5] ، صناعة الخبازة ، الصباغة ، صناعة الخمور ...[6].

الزاعة : لم تلعب دورا كبيرا في حياة اليهود بالمغرب عموما كالصناعة والتجارة ،نظرا لكثرة تشتتهم وعدم استقرارهم في مكان معين [7] ،أو لأنهم يشمئزون من الأعمال ال يدوية الشاقة ذات المردود القليل [8] ،كما أن المصادر لاتشير كثيرا على وجود أراضي أو ملكيات خاصة لليهود .[9]

1 – نبّه الونشريسي لمن يريد العمل بهذا الفرع من التجارة «فالغالب في معاملاتهم الفساد والربا » لهذا مارسه اليهود ، انظر : الونشريسي ، المصدر السابق ،ج2، ص،65.

2 – السمسار يقوم بإشهار البضائع للبيع ويشرف على عمليات المزايدة فيها ، انظر :إيسلي مقران ، المرجع السابق ، ص، 292.

3 – كمال السيد أبو مصطفى ، المرجع السابق ، ص،85.

4 – الونشريسي المصدر السابق ، ج12 ،ص، 376.

5 – فرج محمود فرج ، المرجع السابق ،ص، 21.

6 – الونشريسي المصدر السابق ، ج6 ،ص، 29.

7 – عطا علي شحاتة رية ، المرجع السابق ،ص131.

8 – نفسه ،ص 134.

9 – إيسلي مقران ، المرجع السابق ، ص 229.

لقد تطورت مواقع اليهود الإقتصادية في الجزائر في عصر المغيلي وذلك حسب تطور نفوذهم في التجارة المالية ، خصوصا بعد أن استقرّ الوضع السياسي وازدهرت التجارة وبلغ نمو وتراكم الرأسمال التجاري والمالي لليهود ذروته [1]، بعدما وجدوا الفرصة السانحة للعمل دون مضايقة في إطار قوانين أهل الذمة.[2] إلاّ أنهم لم يقفوا عند هذا الحدّ بل أرادوا السيطرة والتطاول على المسلمين ،ضاربين عرض الحائط بشروط أهل الذمة التي وفرّها لهم الشرع الإسلامي ، وسعوا إلى تعليم الناس الحرام بممارسة العمل الربوي [3] وأساليب الكسب بطرق غير شرعية وصولا إلى تكوين مجتمع ربوي ،[4] فاستخدم اليهود سلاح الرشاوي والهدايا المحرمة ، وما يؤكد ذلك انتشار هذه الظاهرة بينهم ،فسيطر اليهود على أهم المدن وعلى مصادر التجارة والمال ، وتوغلّوا في شراء ذمم بعض المسؤولين حتى أصبحوا صنائع لهم ،[5] وتلاعبوا بالأسعار في أسواق توات ، [6] فكان نتيجة لكل ذلك اصطدامهم بالعلماء الذين طلبوا منهم الدخول إلى الإسلام أو الهجرة ومغادرة الجزائر [7]، ومن بينهم الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي الذي شنّ عليهم حربا شعواء .[8]

1 – إيسلي مقران ، المرجع السابق ،ص 294.

2 – سيتم التفصيل في حقوق وواجبات أهل الذمة في الفصل الموالي .

3 – يقصد بالربا الزيادة على رأس المال ،قلت أو كثرت ، يلجأ إليه اليهود لإبتزاز أموال الناس بالباطل، أنظر: إيسلي مقران ، المرجع السابق ، ص 300.

4 – إيسلي مقران ، المرجع السابق ، ص، 300.

5 – عطا علي محمد شحاتة ، المرجع السابق ،ص169.

6 – فوزي سعد الله ، ،مرجع سابق ، ص 176 .

7 – إيسلي مقران ، المرجع السابق ، ص 300.

8 – عطا علي محمد شحاتة ، المرجع السابق ،ص158.

الفصل الثالث:

نازلة المغيلي ضد يهود توات

1 – الإمام المغيلي في توات:

قبل التطرق للجدال حول الوجود اليهودي في توات وموقف الإمام المغيلي منه ، لابد من التساؤل لماذا خرج الإمام المغيلي من تلمسان ؟ ولماذا وقع اختياره على مدينة توات دون غيرها من المدن الصحراوية ؟.

لمّا كان الإمام عبد الكريم المغيلي قائما بتلمسان [1] وكان شديد الشكيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر [2]، لم يرضى على الوضع الذي آلت إليه تلمسان من جور الحكام ومفاسد اليهود وسكوت العلماء عن تغييّر المنكر ، فخرج منها وهو يردد :

تلمسان أرض لا تليق بحـــالـنا ولكن لطف الله نسال في القضا
وكيف يحب المرء أرضا يسوسها يهود وفجار ومن ليس يرتضى [3]

مستجيبا لنصيحة شيخه عبد الرحمن الثعالبي عندما قال له :«بأن لا تعشر أهل سفاهة ، وأن لا تستوطن مكان إهانة ».

واختياره للصحراء عموما وتوات خصوصا هو طموحه في تحقيق حياة إسلامية نقية على نهج الصحابة والسلف الصالح في هذه الواحة العريقة ، بعيدا عن فساد المدن والحواضر الكبرى، فالصحراء بالنسبة له تمثل رمزا للطهارة والنقاوة الفطرية ، والبساطة التي تسمح له بتجسيد النموذج الإسلامي الأصيل الذي كان يحلم به .

1 – فاطمة بوعمامة ، المرجع السابق ،ص 264.

2 – إبن فرحون ، المصدر السابق ، ص 230 . الشفشاوني ، المصدر السابق ،ص130.

3 – هناك من يقول أن سبب رحيل المغيلي من تلمسان هو ما وقع لصديقه الونشريسي مع سلطات تلمسان ،مما أدى به للفرار إلى فاس ، انظر: زينب سالمي ، المرجع السابق ،ص ص43-44-.

كما كانت تذكره بصحراء الحجاز التي حملت وتبنت الرسالة الإسلامية بقيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] .

وجلبته كثرة علمائها، فأخذ عنهم وجالسهم وناظر بعضهم،حيث قال: « إنتفعت منهم وانتفعوا مني [2] »

كما اعتبرت توات منذ العصور الغابرة ملجأ آمنا لكلّ المضطهدين ومقرّا حصينا يقصده الكثير من ضحايا القمع السياسي والديني [3] ، و همزة وصل بين الصحراء ومناطق السودان الغربي، [4]

و في مخطوطة بالخزانة البكرية بتمنطيط ،ذكر عبد الحميد بكري أنه وجد في بعض التقاييد أن الشيخ المغيلي جاء لتوات بإذن شيخه أبركان ليُعلِم أهل توات السُنن والفرائض [5].

التضارب في تواريخ دخول المغيلي إلى توات :

ينقل لنا الأستاذ حاج أحمد نور الدين عدّة تواريخ من كتاب الرحلة العلية لمؤلفه محمد باي بلعالم وهي :

*عام 856هـ، نقلا عن الشيخ محمد بن المصطفى الرقادي الكنتي حيث يذكر أنه تاريخ نزوله الأول بقرية أولاد سعيد بتيميمون وتوطن بها بصحبة زوجته زينب وولد له ثلاثة أبنائهم .

*عام 870هـ نقلا عن الشيخ محمد باي بلعالم الفولاني الأولفي قال : «في هذه السنة كان

1 – إيسلي مقران ، المرجع السابق ، ص 311.
2 – عبد الحميد بكري ، المرجع السابق ،ص79.
3 – حاج أحمد نور الدين ، المرجع السابق ،ص،36.
4 – إيسلي مقران ، المرجع السابق ، ص 310.
5 – عبد الحميد بكري ، المرجع السابق ،ص79.

قدوم الإمام المغلي لتوات وذلك في حياة أستاذه يحي بن يدير ، فوجده بتمتطيط واستفاد منه علوم كثيرة [1]»

*عام 882هـ نقلا عن الشيخ محمد الطيب بن الحاج عبد الرحيم وقال : «وتلك السنة جاء فيها الشيخ عيد الكريم المغيلي لتمتطيط ونزل بأولاد يعقوب [2]».

أول مكان نزل به المغيلي كان منطقة أولاد سعيد [3] عاصمة قورارة بتيميمون، ولاشك في مكوثه بها مدّة طويلة ، خصوصا إذا علمنا أنه خلف فيها آثارا كثيرة تدل عليه (كوجود قبر زوجته زينب ، ونجله علي) حيث استقبله أهلها بالترحيب والتكريم لمعرفتهم بقيمة هذا العالم ، ووضعوا بيده مقاليد الأمور ،فأصبح صاحب الحل والربط ، كإمام و قائد لتلك البلاد ، ومن أهم إنجازاته بها:

المسجد:و هو أول عمل قام به الإمام المغيلي في المنطقة بقصر أولاد هارون، بتحويل معبد لليهود إلى مسجد .[4]

مصلى العيدين : بناه المغيلي في قصر أولاد موسى بأولاد سعيد ،وخصصه لصلاة العيدين (مايزال مستعملا إلى يومنا هذا كدليل على محبة سكان المنطقة للمغيلي)

1 – يؤول هذا التاريخ حسب الحاج أحمد نور الدين بوصول الإمام المغيلي إلى تمنطيط بعدما استوطن توات سابقا ، انظر حاج أحمد نور الدين ، المرجع السابق ،ص 36.

2 – يحتمل الحاج أحمد نور الدين أن هذا تاريخ رجوعه إلى تمنتطيط بعد وفاة شيخه يحي بن يدير فوجدها مهملة ....،انظر: حاج أحمد نور الدين ،المرجع السابق،ص 36

3 – أولاد سعيد من قصور توات ،يضمّ ثلاث قصور أهمها القصر الكبير الذي يبعد بحوالي 10 كيلو متر عن قصر الحاج قلمان ، ولهذه القصور أهمية من الناحية الإقتصادية بحيث تتكامل مع قصور تيميمون ، أنظر : محمد الصالح حوتية ، المرجع السابق ، ص30.

4 – قام المغيلي بهذا العمل بعدما تأكد أنه لا مفرّ من التغير، فقرر تحطيم القواعد التي ساقها الحكام والعلماء بايعاز من اليهود ، انظر: حاج أحمد نور الدين ، المرجع السابق ،ص38.

السوق : بناه بقصر سيدي يوسف بمنطقة أولاد سعيد ، وبه شكّل قطبا إقتصاديا كبيرا، ربط توات بكثير من الأقاليم والبلدان، مثل واد ريغ و الساورة والمغرب وبجاية والسودان ... [1]

الكرسي :الذي يعدّ من الآثار التي تركها الإمام المغيلي ،وهو موجود في وسط السوق الذي أنشأه ، حيث كان يجلس عليه لحل المشاكل والمنازعات في السوق ،ويمكن اعتباره مجلسا للقضاء والإفتاء ،ومجلس علمي يلتقي فيه مع كبار العلماء ةالفقهاء من أجل المذاكرة والمناقشة ،وقد أعجب بهم فأعرب قائلا : "دخلنا توات فوجدناها دار علم ومقر أكابر ، فإنتفعنا بهم ، وانتفعوا بنا "[2]

إضافة إلى الخلوة التي كان يتعبد فيها ويخلوا بنفسه لذكر الله سبحانه وتعالى [3] .

ثم انتقل المغيلي إلى مدينة تمنطيط بتوات واشتغل مدرسا وفقيها بها [4] وكانت هذه المدينة حينها مدينة علمية بالمعنى الكامل. [5]

1 – بهذا السوق فتح المغيلي جبهة منافسة تجاريا ضد اليهود ،انظر حاج أحمد نور الدين ، المرجع السابق ،ص39 .

2 – هذا الكرسي موجود إلى اليوم، قام أعيان البلاد بحفظه حيث بنوا حوله مقام كأنه مقام ولي صالح ، دلالة على مستوى فكري عالي ومتين لأهالي المنطقة، أنظر: حاج أحمد نور الدين ،المرجع السابق ،ص40.

3 – أنظر الملاحق لهذه الأعمال .

4 – فاطمة بوعمامة ، المرجع السابق ، ص264.

5 – عبد الحميد بكري ،المرجع السابق ،ص79 .

2- فتوى المغيلي ضد يهود توات

أ- أسبابها :

وجد المغيلي الأوضاع السياسية بمناطق توات أكثر سواء من تلمسان [1] ، لانعدام نظام واضح أو حكم موحّد لقصور المنطقة ، ويعود ذلك لأسباب عديدة منها :

* بعد المنطقة عن مناطق الصراع في المغرب العربي.

* تناثر القصور في مناطق بعيدة مما يصعّب قيادتها.

* سيطرة رؤساء القبائل والأعيان على القصور (الأمر الذي سيصعّب على المغيلي مهمته الإصلاحية [2]).

أمام ذلك الوضع وجد أهل توات أنفسهم مضطرين لضبط الموازين الشرعية ،وإيجاد مخرج من المشاكل التي كانت تعيشها توات فوسّعوا سلطة القُضاة ،وجعلوا رؤساء القبائل أهلا للحل والربط ،وحكموا البلاد بنصوص الشرع الثابتة، وأسقطوا عن الناس الضرائب والأتاوات ،وكان لشيخ القبيلة السلطة المطلقة وجميع أحكامه ملزمه ومنفّذة.

كان المغيلي رحمه الله رجل علم ومعرفة الأمر الذي جعله يلمح في توات الكثير من الأشياء التي لم ترق له، فوجدها تعجّ باليهود [3] ،جالية كبيرة وغنية تحكمت بمالها وثرائها الذي إكتسبته بالربا ، وتنمية التجارة غير الشرعية عن طريق استغلال الضعفاء و احتكار الأموال و السلع ، فطغت و تجبرت على الأهالي مستغلّة سذاجتهم وطيبتهم لتحقيق الأرباح الفاحشة، متحكمين في القاعدة و الساسة بإخضاعهم لإرادتهم وخدمة مصالحهم الخاصة ،ولا شك أن بعض أمراء وزعماء الأسر الغنية

1 - زينب سالمي ،المرجع السابق ،ص 43 .

2 - حاج أحمد نور الدين ،المر جع السابق ،ص 41 .

3 - عبد الحميد بكري ،المرجع السابق ،ص 27 .

في تمنطيط كان لهم دخل في نفوذ اليهود الديني والسياسي ، فتمّ تهميش المسلمين في هذه الواحة إلى الحدّ الذي يوحي بأنهم أصبحوا غرباء. [1]

فأظهر اليهود قبح أفعالهم واستحكموا في أمور توات سرا وجهرا ،ساعدهم في ذلك خبرتهم في التجارة ، صنيعتهم الأولى، فطبعوها بطابعهم الخاص خاصة تجارة الذهب ، فكانوا يبعثون الهديا إلى شيوخ القبائل قصد حمايتهم ،وعدم التعرض إليهم ، فعلت شوكتهم وبان فسقهم [2].

ويمكن إيجاز الأسباب التي دعت الإمام المغيلي لحرب اليهود كالتالي :

*تجاوز اليهود للحدود الشرعية واستعلائهم على المسلمين وتمردهم على الأحكام والتحكم في أصحاب الشوكه والسلطان .

* تساهل المسلمين مع هؤلاء اليهود حتى أصبح المسلم يقرّب اليهودي من نفسه وعياله ويستعمله في أعماله ،وصل الأمر عند البعض إلى إعانة اليهود في بناء بيعهم. [3]

* ثراء هذه الجالية مكنها من السيطرة على النفوذ السياسي والإقتصادي.

* إحداث اليهود لكنائس في ديار الإسلام وتطاولهم على الإسلام والمسلمين و أصبحت لهم حرية دينية جعلتهم يقيمون شعائرهم وطقوسهم بأمان داخل البلاد [4] .

*سوء أخلاق اليهود كالمكر والخداع والتجسس على المسلمين وهي من الصفات التي يتميز بها اليهود قديما وحديثا ، إضافة إلى ارتكاب الفواحش والمناكر كالزنا ،تعاطي الربا والسحت ...[5]

1 – إيسلي مقران ،المرجع السابق ،ص 310 .

2 – عبد الحميد بكري ،المرجع السابق ،ص 27 .

3 – يرى الحاج أحمد نور الدين أن مساعدة اليهود في بناء بيعهم ،من باب التعاون على الإثم والعدوان ، ومعصية كبيرة وإهانة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا كان لايجوز للمسلم أن يُعين على بناء كنيسة بأرضه ، فأحرى أن لا يساعدهم على بنائها بيده ،وهو أمر لا يرضى به إلا منافق أو فاسق ، أنظر حاج أحمد نور الدين ، المرجع السابق ، ص45.

4 – حاج أحمد نور الدين ،المرجع السابق ،ص 46.

5 – إيسلي مقران ،المرجع السابق ،ص 313.

فأثارت الإمام هذه الأوضاع التي حملها في صدره بكثير من الهم والغم جرّاء ما يمارسه هؤلاء الدخلاء على المسلمين، لأن الأمر كان مكشوفا عنده، لمعرفته بهم في تلمسان قبل مجيئه إلى توات.[1]

وقد بيّن الإمام المغيلي العديد من النماذج التي تُظهر خسّة اليهود، كتلك الرواية التي أخبره بها أحد أهالي توات عن المرأة اليهودية التي تعجن خبز السمسم وتأخذ القمل من رأسها وتقتله بين أظافرها وتعجن قبل أن تغسل يديها [2].

كما أوردت المصادر العديد من الروايات الأخرى التي تذكر تجاوز اليهود لحدودهم ،كرواية ابن القاضي المكناسي في كتابه لُقَطُ الفرائد عن ذلك اليهودي الساحر الذي تسلط على المسلمين ، فأبطل النيران وعطّلها على جميع من بتوات من المسلمين ، ثم دخل في بيت وطيّنه على نفسه وصار يخاطب الناس من كوّة من أعلى البيت يخرج منها رأسه .

ولما جاء المغيلي إلى توات شكا إليه المسلمون مالقوا من تعطيل النار ،فكلّم اليهودي وقال له أرني رأسك ، فأخرج إليه اليهودي رأسه من الكرة فأشار الشيخ إلى الحائط بخنقه ، ولما استغاث اليهودي بالشيخ قال له:

" إن أطلقت النار للمسلمين و إلا خنقك الحائط حتى تموت ،فأطلق النار ،فلما أطلقها أشار الشيخ إلى عنق اليهودي فزال رأسه عن جثته ، وقال للمسلمين إن الذمة قد برئت من اليهود لأنهم قد نقضوا واشتغلوا بالسحر ....."[3]

1 -عبد الحميد بكري ،المرجع السابق ،ص 27-28.

2 - محمد بن عبد الكريم ، **مصباح الأرواح**.. ،المصدر السابق ،ص 30.

3 - محمد حجي ، **موسوعة أعلام** ...، المرجع السابق ،ص816 .(نقلا عن ابن القاضي المكناسي)

أما عبد الحميد بكري فيذكر روايتين إحداها رواية شعبية، مفادها أن المغيلي ما عزم على طرد اليهود إلا بعد أن تعدى واحدمنهم على فتاة مسلمة [1] وكان هذا سبب اندلا ع الحرب [2] .

والرواية الأخرى التي أفاضت الكيل عند الإمام المغيلي هي حال ذلك اليهودي المسلماني (يدّعي الإسلام) الخائن الذي كان يصلي بالناس في مسجد قصر عمرو يوسف ويبطن الكفر ، بلغ من كيده للإسلام أن يرش المصلين بالبول في صلاة الفجر وغيرها ، فاحتال الشيخ المغيلي على إظهار كيده ونفاقه في الدين ،فجعل قنديلا في إناء مغلق وأتى به المسجد في صلاة الفجر ، فما إن بدأ اليهودي برش الناس حتى فتح المغيلي الإناء وظهر الضوء ، فوجد الرش بولا ، وأسرع اليهودي هاربا ، فتبعه المغيلي حتى لحق به عند القرارة من أرض أسبع فقتله ،ورجع فصلي الظهر في المهوى بموضع يقال له جامع الشيخ حتى الآن [3] وهو يتلو قوله تعالى " **قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾** [4] " .

ومن يومها أمر الشيخ المغيلي بإجلاء اليهود وهدم كنائسهم ، فأهرع اليهود للشيوخ الذين كانوا يهادونهم ويلزمونهم المغارم ،الذين بدورهم رفعوا الأمر لقاضي الجماعة الشيخ عبد الله العصنوني، حيث وجده المغيلي في عودته الثانية إلى تمنطيط يترأس القصور التواتية بعد وفاة شيخه يحي بن يدير .[5]

---

1 – قصة الفتاة التي ذهبت إلى السوقّ لتبيع بعض الحلي الخاص بها عند صائغ يهودي ولما كانت الفتاة كشأن كل فتاة مسلمة متحفظة تخفي معظم مظاهر الجمال ، تعرض لها مجموعة من اليهود وأصر وا أن تكشف لهم عن وجهها وضيقوا عليها الطريق يساعدهم في ذلك الصائغ اليهودي الذي أرك إصرار الفتاة وعدم تنازلها عن كشف وجهها ، فإختلس لحظة وعقد طرف ثوبها إلى ظهراها فإكشفت عورتها ، فضحك الجميع وسخروا منها ، فتألم شاب مسلم من ذلك ودخل العراك مع الصائغ اليهودي وتمكن من قتله ،وانتصر اليهود لصاحبهم فقاموا على الشباب وقتلوه فعضب المسلمون وثارت ثائرتهم ضد اليهود ،انظر :إيسلي مقران ،المرجع السابق ، ص 331.

2 – عبد الحميد بكري ، المرجع السابق ،ص 28 .

3 –نفسه ،ص 28 .

4 – [سورة التوبه ، الآية 29].

5– عبد الحميد بكري، المرجع السابق ،ص 28 .

ومن هنا بدأ يشتدّ الخلاف بين الشيخين حول قضية هدم أو عدم هدم كنائس اليهود بقصور توات ، وقبل ذلك كان الخلاف بينهما قائم على موضوع استخدام الحكام والتجار المسلمين لليهود، وتوكيلهم على أموالهم مما أعطى لليهود مكانة ممّيزة تفوق مكانة أهل الذمّة في الإسلام [1]، حيث ردّد أشعارا كثيرة يهجو فيها اليهود بتوات ومن انتصر لهم فقال:

برئت للرب الودود من قرب أنصار اليهود
قوما أهانوا دينهم و أكرموا دين اليهـود

ب– مدلول الفتوى :

ألّف المغيلي كتابا [2]حين سُؤل عمّا يجب على المسلمين من اجتناب الكفار، ودعا فيها جميع المسلمين والمسلمات إلى اتخاذ موقف صارم ومحدّد في التعامل معهم ، وهو ما مزجّ به في صراع مع فقهاء عصره.

وقبل التطرق إلى موقف العلماء المؤيدين والمعارضين لرأيه لابد من تحليل محتوى النازلة [3] .

لم ينطلق المغيلي في هذه الرسالة من فراغ في وصف أحداث سمعها أو اعتمد فيها على أخبار منقولة إليه، لا يُعلم صحيحها من مكذوبها،بل نقل لنا أحداثا عاشها وعايش أهلها [4]، ومفاد هذه

---

1 – مقدم مبروك ، **الإمام المغيلي وأثره الإصلاحي**...، المرجع السابق ،ص 116.

2– معظم الآثار التي خلفها المغيلي عبارة في رسائل منها ما يحمل المعنى الحقيقي للرسالة كالتي وجهها لعلماء الحواضر الإسلامية ، ومنها مابعث به لبعض الملوك والأمراء بالسودان الغربي ، وهي أقرب مايكون إلى الكتب ،والصنف الثالث من مؤلفاته فهي عبارة عن كتب ، وهذه الرسالة التي نحن بصدد تحليل مضمونها هي أصلها مخطوط موجود بالخزانة التواتية ، رقيق الخط ، كتبت بخط الناسخ محمد بن عبد الرحمن بن عمر التنلاني ، بخط مغربي بارز في الفصول والعناوين ، توجد منها نسخة بخزانة أحفاد الإمام المغيلي بزاوية الشيخ المغيلي ببلدية زاوية كنتة ولاية أدرار يحتوي على 17 ورقة مكتوبة الوجه والظهر .

– والنسخة الثانية المخطوطة في المكتبة الوطنية بالحامة تحت رقم 1508 وهي التي اعتمدها رابح بونار في تحقيق كتاب مصباح الأرواح في أصول الفلاح للمغيلي سنة 1968م ، ويقول الحاج أحمد نور الدين أن المحقق وقع في خلط،فهذا الكتاب الذي عنونه بمصباح الأرواح.. ، إنما هو في الحقيقة بعنوان: رسالة إلى كل مسلم ومسلمة ، أما كتاب المغيلي مصباح الأرواح ...فهو كتاب في العقائد والتصوف بدليل شهادة أحد العلماء الذين عايشوا المغيلي وهو أبو إسحاق إبراهيم بن هلال التلمساني (ت 902هـ) .أنظر :حاج أحمد نور الدين ، المرجع السابق ،ص 62.

3 – النازلة هي تلك المسائل المتجددة التي تطرح على الفقهاء للنظر فيها والبحث عن الحكم الشرعي لها ،أنظر: زينب سالمي ،المرجع السابق ،ص 48.

4 – محمد بن عبد الكريم المغيلي ، **مصباح الأرواح**..،المصدر السابق ،ص14.(رأي المحقق).

الفتوى أن يهود توات كغيرهم من يهود تلمسان وإفريقية قد حلّت دماؤهم و أموالهم وأولادهم ونساؤهم ، وأنهم لاذمة لهم 1.

وغرض الإمام المغيلي من وضع هذا التأليف الوجيز، تبيّن مكر اليهود وصهيونيتهم ضد المسلمين وخُبث آرائهم ، لا ليُثير نعرة العداوة، ولكن ليضع حدّا لعملهم المقيت داخل بلدة توات التي أرادوا السيطرة عليها وهم ذميون، والذميّ يعيش في بلد الإسلام تحت حماية المسلمين مقابل جزية يدفعها لبيت مال المسلمين احتقارا وصغارا له، حتى يدخل في الإسلام فترفع عنه [2] .

محتوى الرسالة شكلا:تتكون من مقدمة وجيزة ،وثلاثة فصول .

مقدمة:استهلّها بالحمد والتصليّة على النبيّ ،و ختمها بشهادة التوحيد.

الفصل الأول :وعنونه " فيما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار "شرح فيها مسألة الإقتراب من الكافر ،حيث دلّل على أقواله بالآيات القرآنية و الأحاديث النبويّة.

الفصل الثاني :خصّصه للجزية وعنونه :"فيما يلزم أهل الذمّة من الجزية و الصغار" .بتحديد مفهومها.

الفصل الثالث : عنونه "فيما عليه يهود هذا الزمان في أكثر البلاد و الأوطان من الجرأة والطغيان والتمرد على الأحكام الشرعية والأركان بتولي أرباب الشوكة و خدمة السلطان " تعرض فيه ليهود توات و تيجورارين و تافيلالت ودرعة و غيرها من الحواضر الأخرى.[3]

1 – نبيل شريخي ، **المناظرات والمناقشات العلمية لعلماء تلمسان في بلاد المغرب الأسلامي ، خلال القرنيين 8هـ – 9هـ/14م–15م** ،مجلة كان التاريخية ، عدد 13 .سبتمبر 2011 ، ص 68 (في شكل إلكتروني) .

2 – محمد بن عبد الكريم المغيلي ، **مصباح الأرواح**..، المصدر السابق ،ص17(رأي المحقق).

3 –من تحقيق عبد المجيد الخيالي لرسالة المغيلي ،أنظر محمد بن عبد الكريم المغيلي ، **مصباح الأرواح**..، المصدر السابق ،ص17

محتوى الرسالة مضمونا :

إفتتح رسالته بالمقدمة المعتادة من الحمد لله و الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه الكرام...،ثم سلام الله على الجميع بقوله :"...إلى كل مسلم ومسلمة سلام الله عليكم و رحمته و بركاته.." [1]

الفصل الاول: عنونه "فيما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار ".

إفتتحه بقوله تعالى ﴿ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ ..... ﴿٢٦﴾ [2] ﴾

فيرى أن الطيّب لا يألف إلا طيّباً، أما الخبيث فلا يرتاح إلا مع الخبيث و النجاسة ،و كلّ جنس إلى جنسه يألف ،كما حذّر المسلمين من تقريب الكافر من نفسه و عياله ،أو يستعمله في أعماله أو يجعل بيده أمواله.وفاعل ذلك في نظره لا دين له ولا عقل ولا مروءة.[3]

فبيان كونه لا دين له فبادلة عقلية ونصوص شرعيّة ،كقوله تعالى:

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾.[4]

---

[1] – كِتابة المغيلي لجملة إلى كل مسلم و مسلمة دليل على أنه وجّهها إلى جميع المسلمين ، ولم تكن موجّهة إلى لليهود ،لذلك ارتأى حاج احمد نور الدين أن يُعنونها ب" رسالة إلى كلّ مسلم و مسلمة " ردّا على من عنونها ب"رسالة في اليهود ، فيقول: إن اليهود أجبن وأحقر من أن يكتب فيهم المغيلي رسالة و لذلك يدعوا الباحثين إلى تصحيح هذا الخطأ، أنظر: حاج أحمد نور الدين ، المرجع السابق ،ص 125.

[2] – [سورة النور ،الآية 26].

[3] – محمد بن عبد الكريم المغيلي ، **مصباح الأرواح**..، المصدر السابق ،ص23.

[4] –[سورة المائدة ،الآية 51].

ويرى أنّ المؤمن الحقيقي لابدّ أن يكون شديدا على الكفار رحيما بالمؤمنين [1]،استنادا لقوله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ..... ﴿٢٩﴾ ﴾ [2].

كما أورد أحاديث نبويّة شريفة على ضرورة حبّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وبغض و معاداة من عادى وبغض الله ورسوله ولو كان ذا قربى كما فعل الصحابة الكرام، [3] كقوله عليه الصلاة والسلام : **{لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وولده ووالديه و الناس أجمعين }**.[4]

ثمّ حذّر من موالاة اليهود و النصارى، وكذّب من يدّعي الإيمان وحبّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويتولى أشدّ الناس عداوة لهم، حتى إنهم يأتون اليهود إليهم ويحاربون العلماء عليهم، [5] وذكر في ذلك آيات عديدة من بينها :

قال الله تعالى :﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾ ﴾[6]

---

[1] – محمد بن عبد الكريم المغيلي ، **مصباح الأرواح**..، المصدر السابق ،ص ص 24-25.

[2] -[سورة الفتح ،الآية 29].

[3] – ذكر قصّة إبن أبي بن سلول رأس المنافقين،الذي استأذن النبيّ في قتل أبيه ،وجاء بخبر إبراهيم المصمودي الذي يرى أن الوجه الذي يُقبل به على الله ورسوله لا يجب أن يُقبل به على عدوّ الله و رسوله حيث أغلق الباب في وجه يهودي طرق بابهأنظر:محمد بن عبد الكريم المغيلي ، **مصباح الأرواح**..، المصدر السابق ،ص ص 25-26.

[4] – أخرجه البخاري في كتاب الإيمان ،باب حبّ رسول الله،حديث 15. أنظر: محمد بن عبد الكريم المغيلي ، **مصباح الأرواح**..، المصدر السابق ،ص26.

[5] – محمد بن عبد الكريم المغيلي ، **مصباح الأرواح**...، المصدر السابق ،ص ص27-28.

[6] -[سورة الرعد ، الآية 5].

وقوله تعالى : ﴿ ۞ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٣٨ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۝١٣٩ ﴾[1]

وقوله تعالى : ﴿ ۞ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ۝٨٠ وَلَوْ كَانُواْ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ۝٨١ ﴾[2]

و قوله تعالى : ﴿ ۞ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۝٢٢.﴾[3]

وقالى تعالى : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٢٣ .﴾[4]

وقالى تعالى : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ۝١٤٤ ﴾.[5]

---

[1] -[سورة النساء ،الآية 138-139].

[2] -[سورة المائدة الأية 80-81]

[3] - [سورة المجادلة ،الآية 22].

[4] - [سورة التوبة ، الآية 23].

[5] -[سورة النساء ، الآية 144].

وقوله تعالى: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [1]

إلى غير ذلك من الآيات ، ونظم في ذلك أبياتا من الشعر أيضا [2] .

و في تبيان كونه لا عقل له-أي من يُواد اليهود – فاستدلّ بنصوص شرعيّة أيضا ، فقال :"أول عقل المرء أن يقرب من منافعه ،ويبعد عن أبواب مضاره ،....وأن من أعظم أبواب منفعته أحبابه ، وأن من أعظم أبواب مضرّته أعداؤه" ،وقال حتى الحمار يدرك ماينفعه فيقترب منه، ويبعد عما يضرّه .فاعتبر من يفعل ذلك أجهل من الحمار و الحمار أعقل منه ،[3]

وذكر آيات من القرآن الكريم كقوله تعالى:

﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ ﴾[4]

وقوله تعالى :۞ ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ ... ﴿٨٢﴾ ﴾[5]

[5]

وقوله تعالى :﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ ... ﴿١٠٩﴾ ﴾[1]

---

[1]- [سورة آل عمران ، الآية 28].

[2] - محمد بن عبد الكريم المغيلي ، **مصباح الأرواح**..، المصدر السابق ،ص28.

[3] - نفسه ، المصدر السابق ،ص29.

[4] - [سورة البقرة ،الآية 105].

[5] - [سورة المائدة ، الآية 82].

وقال تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ١٠٠ ﴾ [2]

وجاء بأخبار القاضي الذي استعمل يهوديا في أشغاله ظناّ منه أنه يذلُّه،فرآه في يوم خِلسة يُنجِّس ثيابه عندما أمره بغسلها،و قصص أخرى حيث يقول الإمام :و الأخبار في ذلك كثيرة.[3]

وأما بيان كونه لا مروءة له فاستند لأدلة عقليّة ونصوص شرعيّة وهي: أن كل ذي همّة عالية ينفر بطبعه ولبّه وجوارحه وقلبه عن كل ذي نقيصة ، ويُذكِّر بأفعال اليهود منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم في تقوُّلهم في ديننا، ويسميّهم بإخوان القردة ،فهم أشدّ الناس لنا عداوة ولرسول الله صلى الله عليه وسلم .لذلك يصف من يولّيهم بأخسّ وأخزى الناس.

كما حذّر من أكل طعامهم و التعامل معهم في البيع و الشراء،لأنهم أصحاب مكرٍ وخديعة، فلا أمان لهم. و في ذلك ذكر ما قاله سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أن لا يكونوا جزّارين، ولا صيارفة، وقال : إن الله تعالى قد أغنى المسلمين بالمسلمين ،فلا تستعملوا الكفار في شيء من أعمالكم.[4]

الفصل الثاني : عنونه "فيما يلزم أهل الذمّة الكفار من الجزية و الصغار"

---

[1]- [سورة البقرة ، الآية 109].

2 - [سورة آل عمران ،الآية 100].

[3] - محمد بن عبد الكريم المغيلي ، **مصباح الأرواح**..، المصدر السابق ،ص30.

[4] - نفسه، المصدر السابق ،ص ص33 -34. .

إفتتحه بالآية الكريمة ، قال تعالى : ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩ ﴾ [1]

فيرى المغيلي في هذه الآية الوضوح التام بوجوب قتال اليهود و النصارى، ولا يرفع عنهم السيف إلا بشرط إعطائهم الجزية.

ويعرِّف الجزية بأنه مال يعطيه كل ذكر بالغ ،حرّ ، عاقل ،قادر، عند تمام كلّ سنة بصفة شرعيّة، وحدّدها عمر بن الخطاب بثمانية مثاقيل ذهبا (أربعة فيها أصل الجزية وما تبقى من الأرزاق و نحوِها.و بيّن الفئات التي يخفّف عنها أو تعفى ..)، كما ذكر المكان الذي تؤخذ فيه كالسوق ، ومن يجب أن يُكلف بتحصيلها وهم أولياء الأمور، فاشترط أن لا يكون من أهل الوظائف من اليهود حتى لا تُعتبر رشوى ،وأوضح القصد من الجزية أن ليس لحاجة المسلمين لهذا المال من هؤلاء و إنما لإذلالهم حتى يستحيوا ويعلنوا إسلامهم.

ثم وضّح مصارف الجزية كالثغور و الحصون أو السلاح..،. وأوضح معنى الصِغار: أي إلتزام الذلّة و المسكنة في أقوالهم و أفعالهم وو إخفاء شعائر دينهم ،كعدم استحداث كنيسة في بلاد المسلمين وإن أَعْطُوا على ذلك ملء الارض ذهبا،مستندا في رأيه لقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب :"لا كنيسة في دار الإسلام، وأمر أن تهدم كل كنيسة لم تكن قبل الإسلام". وفي حال أذِن لهم سلطان أو قاضي أو غيرهما من ولاة الامور بذلك وجب نقض إذنه وهدم ماتمّ بناؤه .وشبّههم

[1] - [سورة التوبة ، الآية 29].

بأرباب الهوى، وأعطى أمثلة عن فتاوى لبعض العلماء الأجلاء الذين أفتوا بكفر من ساهم في بناء كنيسة كالشيخ أبي الحسن الأشعري (ت324 هـ) .[1]

الفصل الثالث :عنونه "فيما عليه يهود هذا الزمان في أكثر البلاد و الأوطان من الجرأة والطغيان ، و التمرّد على الأحكام الشرعية و الأركان بتولية أرباب الشوكة وخدمة السلطان"

وحدّد اليهود الذين حلّت دماؤهم و أولادهم وأموالهم و نساءهم الذين يقصدهم بفتواه، وهم يهود توات،تيجرايز، تافيلالت ،درعة وأوطان أخرى كإفريقية ، وتلمسان .فنفى عنهم صفة أهل الذمّة ،لأن الذمّة في نظره التي ترفع السيف عنهم هي الذمّة الشرعية بإعطاء الجزية و هم صاغرون .واستدلّ في رأيه إلى رسالة أهل الشام إلى عمر بن الخطاب حين صالحهم وملخصها : (تذكيرهم لعمر عندما قدم إليهم وسألوه الأمان لأنفسهم و أولادهم وأموالهم وأهل ملّتهم، مقابل تعهدهم بأمور كثيرة من بينها :عدم إحداث ديْرًا ولا بيعةً ولا كنيسةً ولا صومعةً، ولا يجدّدوا ماخرب منها،...وأن لا يأووا جاسوسا .....، وأن لا يتشبهوا بالمسلمين في لباسهم ،ولا في كلامهم ، ولا في ركوبهم السروج و...وأن لا ينقشوا باللغة العربية على خواتمهم و وأن لايبيعوا الخمور ،.....).

ولما بلغ الكتاب لعمر رضي الله عنه زاد عليه شرط عدم ضرب أحد من المسلمين ، فكان ردّهم قبول الشروط وتوعّدوا في حالة المخالفة أنه لا ذمّة لهم ،وحلّ عليهم ما يحلّ على أهل المعاندة و الشقاق. فكتب عمر بأنه يقضي ما سألوه وألحق عليه شرطين الأول (عدم ضرب مسلم) و أضاف أن لا يستتروا شيئا من سبايا المسلمين.

فعلى هذا العهد اعتمد علماء الامة واتّفق عليه أئمة كل مذهب في الأحكام المتعلقة بأهل الذمّة، إلا أنهم اختلفوا فيما ينتقض به العهد ، فذكر رأي ابن حزم في مراتب الإجماع فقال:"اختلف

[1] – محمد بن عبد الكريم المغيلي ، **مصباح الأرواح**..، المصدر السابق ،ص ص37-39.(دليل على أن المغيلي لم يستحدث هذه الفتوى بل له سند عليها).

العلماء في نقض عهد الذمّي وقتله وسبيّ ماله و أهله ، إذا أخلّ بواحدة مما نذكره – وأعاد ذكر كل ما جاء في عهد أهل الذمّة لعمر بن الخطاب-

فتعجب الإمام المغيلي في اختلاف العلماء حول نقض أهل الذمة لشرطٍ واحدٍ يستوجب قتلهم و سبيّهم ،فقال "فكيف بيهود لم يأتوا بواحدة -مما اشتُرِط عليهم – بل تمرّدوا على الأحكام الشرعية بسكنى البلاد السائبة ، والتعلق بأرباب الشوكة و التعصّب بأموالهم على من يتسبّب من العلماء في إذلالهم ، فهؤلاء و نحوِهم لا خلاف في نقض عهدهم و قتلهم وسبيهم.... وأضاف أن خدمة أرباب الشوكة مناقض لشروط الذمّة من الصغار والذلّة.[1]

وختم المغيلي هذا الفصل بإعلان فتواه القويّة بقوله: "فوالذي نفسي بيده لقَتلُ يهودي واحد منهم أعظم من غزوة في أرض المشركين ،فخذوهم ، واقتلوهم حيث وجدتموهم ، وانهبوا أموالهم ، واسبوا نساءهم و أولادهم في كل مكان حتى يُذعنوا للأحكام الشرعية أتمّ إذعان ،أداء الجزية و الصغار ، وجعل هؤلاء الأشرار في سلاسل وأغلال يطوفون بهم في سائر الأقطار على مرور الأعصار، إظهارا لشرف النبيّ المختار ...." ، وأورد آيات من القرآن الكريم في هذا الشأن ، ونظم أبياتا من الشعر:

برئت للـرب الــودود من قرب أنصار اليهود
قومـــا أهانوا دينهـــم وأكـــرموا دين اليهود
يكفي الفتى من شأنهم وخبث أصل صنيعهم
أن قـطعوا من دينهـم ورقعوا دين اليهـــود
يـاليتهـــم لـــو دبـــرّوا في فعلهم و نظـــروا
وســـتروا مـــاأظهـروا من نصرهم رهط اليهود
ألم يروا كيف قـــضى رب الورى فيما مضى

[1] -ذكر مثالا على اليهودي الذي كان يخدم السلطان المريني أبو عنان ،و تجرّأ على تحريف آية من القرآن الكريم لأحد الصبية (سبق ذكر القصة موضع آخر)، أنظر:محمد بن عبد الكريم المغيلي ، **مصباح الأرواح**..، المصدر السابق ،ص 44.

أنّ لايفــوز بالـــرضا من رضيت عنه اليهود
فــيــا إلهــي بالــنــبي المصطفى الهادي التقي
و كـــل قـطب ووليّ شمت بأنصار اليهود
صب البلاى من فوقهم وامحق بقايا رزقهـــم
وافتح لهم من محقـــهم بابا إلى نار الوقــود
الآن الذين استغفــروا وجبّروا ما كـــسروا
بيـــنوا مـــــــاستروا حتى استقامت الحدود
فإغفر لهم ماقد مضى واكتب لهم منك الرضى
واعجل على من قضا منهم بجنات الخلود

وختم الكتاب بدعاء سيد الإستغفار. [1]

1 – محمد بن عبد الكريم المغيلي ، **مصباح الأرواح** ، المصدر السابق،ص،45 .

3- موقف علماء عصره من الفتوى :

أثارت قضيّة يهود توات نقاشا علميا وفقهيا حادا، بدأ بين عالمين تلمسانين يعيشان خارجها هما محمد بن عبد الكريم المغيلي والقاضي عبد الله العصنوني [1]. وتعدّ هذه القضية من بين المحاورات أو المعارك الكلامية التي هزت الأوساط العلمية والفقهية في بداية القرن 10هـ/16م في بلاد المغرب ، فإنقسم الفقهاء بين منكر متصدّ للفتوى، [2] متهمين المغيلي بالمتطرف [3]، والعنصري. وفتواه تعتبر ضربا من ضروب الجاهلية نهى عنها الإسلام الداعي إلى التسامح والأمن وإن إختلفت الإديان .وبين مؤيّد ومناصر ومشجع للمغيلي فيما قام به [4] وحول هذه المحاور نجد أكثر المصادر والمراجع تشير إليها لما وصلت إليه منّ أهمية فالونشريسي أفرد لها العديد من الصفحات بعنوان نازلة يهود توات من قصور صحراء المغرب الوسط ، فصّل فيها أغلب الفتاوى الصادرة عن المؤيدين أو المعارضين لرأي المغيلي [5]، إضافة إلى المصادر الأخرى التي تذكر نزاع المغيلي مع العصنوني قاضي توات[6].

وقد حدد الأستاذ مبروك مقّدم جوهر المسائل الفقهية الحاصلة بين الإمام المغيلي وعبد الله العصنوني في عناصر وهي:

---

1 – نبيل شريخي ، المرجع السابق ، ص63 .

2 – اسماعيل فلفول ، **دراسة مقارنة بين القوى الدينية في الجزائر والمغرب الأقصى خلال القرن 10هـ–16هـ** ، مذكرة ماجستير ، في التاريخ الحديث ، إشراف الدكتور أرزقي شويتام، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر 2، 2011–2012 ،ص 98.

3 – محمد حجي ،**الحركة الفكرية** ...، المرجع السابق ، ص631.

4 – محمد بن عبد الكريم المغيلي ، **مصباح الأرواح** ، المصدر السابق ،ص18 (رأي المحقق عبد المجيد الخيالي).

5 – الونشريسي ، المصدر السابق ، ج2، ص214.

6 – تمّ ذكر هذه القضية في المصادر التالية : أحمد بابا التمبكتي، **نيل الإبتهاج** ، المصدر السابق ، ص576 .ابن مريم ، المصدر السابق ،ص253 الحفناوي ، المصدر السابق ،ص 167. الشفشاوني ، المصدر السابق ،ص 140، بن فرحون ، المصدر السابق ،ص330. محمد مخلوف ، المصدر السابق ،ج 2 ، 274 .الزركلي ،المصدر السابق، ج 6 ،ص216 .عادل نويهض ، المرجع السابق ، ص308. عبدالله مرابط الترغي ، المرجع السابق ،ص626.

*هل يجوز بناء بيع وصوامع جديدة في أرض إختطّها الإمام المسلم ؟

*هل يجوز دفع الجزية لرؤساء القصور المسيطرين على نظم الحكم العشائري في تلك الفترة لخلوّ البلاد من حاكم وإمام يديرها ؟

*هل يعتبر اليهود المقيمين بين جنبات المسلمين ذميّن وهل عليهم دفع الجزية ، ولم تدفع ؟[1]

هذه أوجه الخلاف بين الإمام المغيلي وعلماء تمنطيط ،فأصدر كلّ فريق فتواه حسب مايراه وظهر له.

أ- الآراء الرافضة لرأي المغيلي :

رأي عبد الله بن أبي بكر العصنوني :

يتزعم الآراء التي أقرّت بِيع اليهود بتوات ، وكتب العصنوني رسالة في هاته النازلة مثل التي كتبها المغيلي، يذكرها الونشريسي في المعيار بقوله :"كتب صاحبنا الفقيه عبد الله العصنوني من توات لفقهاء تلمسان وفاس ..."[2] ،و ملخص هاته الرسالة :

أن لليهود الحق في بناء بِيَعِهم ولا يرى حاجة في هدمها ، وإن القول بهدمها يُعدُّ تشغيبا من طرف المغيلي و ابنه عبد الجبار يكاد أن يوقع في فتنة ، وأنه تمّ استفتاؤه في تقريرها .

كما يشير أنه طالع كلّ من رأي ابن عرفة و ابن يونس هذا الآخير الذي استند إلى قول مالك في بلد الإسلام وذكر مطالعته للبرزلي [3]، حيث أقرّ أن المسألة مندرجة في البلد الذي اختطه [4]

1 – مبروك مقدم ،**الإمام المغيلي ودوره في تأسيس**.... ، المرجع السابق ،ص29 .

2 – الونشريسي ،المصدر السابق،ج2، ص214.

3 – البرزلي :(844هـ-1440م)،أبو القاسم بن أحمد بن محمد بن المعتل الباوي القيرواني، نزيل تونس و مفتيها وفقيهها و حافظها ،أحد الأئمة في الذهب المالكي ،صاحب الديوان الكبير في الفقه و الفتاوى ،وهو من كتب المذهب الآجلة ،وأجاد فيه،،انظر: ابن مريم ،المصدر السابق ،ص 150.

4 – اختطّ : تعني البناء والتأسيس ،حسب رأي العصنوني ،أنظر الونشريسي ،المصدر السابق ،ج2،ص214.

المسلمون . ثم يفصح عن رأيه في قضية الكنائيس ويقول :"والصواب عندي تقريرها، إتباعا لقول الغير،ولجري العمل به في كثير من مدن المغرب ، وهي مما اختطّه المسلمون في صدر الإسلام وبعده ، وفيها العلماء متوافرون في كلّ مكان ، وفيهم من لا يسكت على الباطل. وكذلك قواعد هذه الصحراء قد حلّ بها علماء فضلاء ،وقد شاهدوا الكنائس فيها ، وهم ممن يُمتثل قولهم في الأحيان ، وقد أنكروا أشياء على أهل الذمّة وغلائفهم[1] ، ولم ينكروا الكنائس في جملة ما أنكروا "

ثم يأتي بالأحداث التي تسانده بآراء الفقهاء والوقائع التي وقعت كالنازلتان التي ذكرهما البرزلي :

الأولى حول ماطلبه نصارى الأندلس الداخلون من العدوة في بناء بيع في موضع اسقرارهم ،ووُصِفوا بالمعاهدين، لهم العهد والعقد من الذمّة ،والوفاء لهم واجب (بشرط بناء بيعه واحدة لإقامة شريعتهم ، ويُمنعون من ضرب الناقوس [2] .فيبرّر العصنوني ذلك بأن هؤلاء حصلوا على نفس العهد الذي كان ممنوحا لهم في المكان الذي انتقلوا منه ، وإن انتقالهم إلى البلاد الصحرواية ما كان إلاّ لظلم تعرضوا له.

أما الرواية الثانية فوقعت بتونس حينما أحدث النصارى كنيسة في فندقهم، وجعلوا شيئا عليها يشبه الصومعة ،فلم يتم معارضتهم على ذلك ، واعتذروا عمّا رفعوه بأنه فقط للضوء .

ثم يرجع إلى الخلاف الذي وقع بينه وبين المغيلي حيث يقول :"وخالفني المغيلي وقال إن هدمها واجب"، وقال –على لسان المغيلي- :لا يُعلم فيها خلافا ،وقال لا يفتي بتقريرها إلاّدجّال "،يواصل العصنوني ويقول :"أن المغيلي وتلميذه الفجيجي نفيا أن يكون هذا الكلام موجود في النازلة "، ويأتي بكلام للمغيلي يدّعي فيه الإجماع في بعض الأوقات على رؤوس الأشهاد ويقول لمن يدعوه إلى هدمها تهدم وإن أدى إلى قطع الرؤوس، وممن مات ممن يريد هدمها فهو من أهل الجنة ،ومن الآخرين فهو من أهل النار، فيقول أن المغيلي حكم على من يعارضه برفع دين الكفر وما إلى ذلك من التغليظ.

---

[1] – الغلائف: مفردها غليفة ،يقال تغلف الرجل واغتلف، إذا حصل له غلاف ،أي جعل لنفسه حماية ، انظر: مجد الدين الفيروز أبادي ، (ت 817هـ)،**القاموس المحيط** ، تح: أنس محمد الشامي ،زكرياء جابر أحمد ، دار الحديث ،القاهرة ، 2008 ، ص1199.

2 – الونشريسي ، المصدر السابق ،ج2، ص 214- 215.

وذكر العصنوني رواية أخرى عن الإمام أنه خاطب الناس وقال لهم : هذه الجنة ، وهذه النار ،يشير إلى مكانين من الأرض ، من هدمها فله الجنة ، ومن حماها فله النار...وأمثلة أخرى تحجّج بها العصنوني .وحتى انتقد المغيلي في توظيفه للآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية كي ينفّر المسلمين .

ثمّ يدّعي العصنوني أنه أطْلَع المغيلي على نص ابن عرفة الذي اعتمده الإمام في فتواه ، وحاول أن يبيّن له أنه مخطئ في فهم الفتوى من حيث أن أراضي الصحراء من اختطاط المسلمين،بل يرى أنها فتحت بالصلح مع أهلها وليس الحرب .

كما كذب العصنوني الفجيجي عندما وصف أهل الذمة بأنهم ناقضي للعهد ، وقال :"نحن لا نعرفها في يهود توات ،وغاية ما وقع منهم إهمال الغلائف لهم ما يوجب الزجر أو الأدب ، بل هم عند تفطّنهم في غاية الذلّة والصغار".

وذهب في تبريره لموضوع عدم دفع اليهود للجزية ،أن هؤلاء تعوّدوا منذ قديم الزمان على عوائد مع شيوخ المنطقة في الأعياد وسائر النوائب في دفعها ،أحيانا تزيد عن القدر الواجب ومرّة تنقص ، أو تساوي .وبرّر ذلك بأنهم يتعرّضون للظلم ،ولو وجدوا العدل لهان عليهم القدر الواجب وأكثر . كما ويقول أن يهود توات لهم درب اختصّوا به ، وليس في خارجه إلا قليل منهم ، وكنيستهم بين دورهم لا تلاصق دار مسلم .[1]

وختم رسالته بطلب الإجابة على سؤاله من العلماء ودعى لهم بالأجر.[2]

ومن بين العلماء الذين أجابوا على رسالة العصنوني و وافقوه في رأيه :

رأي أبو العباس أحمد بن محمد بن زكري فقيه تلمسان و مفتيها :

يقول :"أن هدم الكنائس المسؤول عنها لا يجوز بقتضى الشريعة الإسلامية المحمدية على رأي المحققين في الفقه المالكي ،و التشغيب فيها من عدم التحقيق في أصول المسائل العلمية ، وأن المغيلي

[1] – يدعوا الأستاذ حاج احمد نور الدين الباحثين أن يقوموا بقراءة لرأي العصنوني، من حيث موقفه الغريب في الوقوف ضدّ رأي المغيلي ، والدفاع عن مصالح اليهود في المنطقة،أنظر حاج أحمد نور الدين ،المرجع السابق ،ص143.

[2] – الونشريسي ،المصدر السابق ،ج2، ،ص ص 216-217.

أخذ بظواهر عموميات هي مخصوصة ، وكذلك المطلقات من النصوص وهي مقيدات ...وأن منع إحداث أهل الذمّة لمعابدهم لايدل على وجوب هدم المباني المستحدثة ".

ويرى أن أهل الذمة لهم الحق في إحداث كنيسة في أراضي المسلمين التي يسكنونها فيقول :"أما أولا ، فلأن الذميين المذكورين لو أرادوا إحداث كنيسة في موضع استقرارهم حين نزلوا لساغ لهم ذلك ، ولا يسوغ منعهم على أي وجه فُرِضت من اختطاط أو أحياء ". فهو يرى أن هاته الكنائس هي ملك لهم ولا يجوز نزعها منهم ،بل يجوز التصرف فيها كيف يشاؤون.، فيقول :"فكيف يستقيم هدم ما وجد مبنيا محوزا بيد الذميين المذكورين من الكنائس ،لها بأيديهم أمدا طويلا لا يعلم تاريخه ، ولا مانع من الإنكار عليهم عادةً في تلك المواضع....فيجب القضاء عليهم بالملك لهم ".ويضيف و يقول أن هدم الكنائس الموصوفة ظلم لأهل الذمة و وذلك لا يجوز شرعا.

ثم فصّل في القضية و تكلم عيها من الناحية الفقهية ، وجاء بآراء العلماء في المذهب المالكي ، واستنتج رأيه ووصل إلى أنه" لا يجوز هدم الكنائس و البِيع التي أحدثها اليهود في أراضي المسلمين ، وأنهم حتى لو خرجوا عن الحدّ الواجب عليهم، لا يستلزم استباحة أموالهم، إلا ما نصّ عليه أئمتنا أنه نقض للعهد كالتمرد على الأحكام أو منع الجزية ، أو البروز لقتال المسلمين " [1]

رأي القاضي أبو زكريا أبي البركات :

يتصّف رأيه بالقوة والشدّة عن من يقول بهدم كنائس أهل الذمة ،بأنه لا يملك العقل ولا العلم ، حيث يقول : "الحمد لله ،لا خفاء أن من معه أدنى مسكة من العقل ، فضلا عمن اتّصف بالعلم لا يقول بهدم الكنائس المذكورة و لا يفوه به " فيرى في ذلك درء المفاسد ،لأن ذلك عنده أولى من جلب المصالح، ولا سيما إذا ما بدت لذلك أمارات و قامت عليه دلالات تقتضي تحريم الخوض في ذلك ، واعتبر فتوى المغيلي مما يثير الهرج ويُحدث الفتن المؤدية لقتل النفوس وسلب الأموال ،وإشعال نار الحرب بين الخلائق في سائر الآفاق .

ويُطنب في الحديث عن الإفساد و المفسدين والخلاف ، وينصح بترك الخوض في هاته الأمور لأنها ليست ظاهرة و مصلحتها كذلك .و يعتمد على قاعدة النظر إلى المآل و العاقبة ، ويقول بأن

[1] – الونشريسي ،المصدر السابق ،ج2، ، ص ص 219-223.

أكبر حجة في عدم هدم الكنائس سكوت العلماء و الصالحين عليها في سائر أقطار الأرض وتغافلهم وتركهم لها على ما وجدوه عليه...

وفي الأخير يفصل في رأيه ويقول :"لا سبيل إلى هدم الكنائس بحال حيث كانت ..."[1]

رأي عبد الرحمان بن سعيد :

دعى الله أن يجعله ممن يتّبع ولا يبتدع ، ويتمسك بالطريق المستقيم ، ويتبع سنن العلماء الماضين فيما وجدوا في الأمصار من كنائس وبيع أهل الكتاب ، وأقرّت على ماهي عليه من نكير- إنكار- ، قيقول : وبهذا أخذ الناس و مضت عليه الأمصار و الأعصار ، وعمل بذلك الخلف بعد السلف ....فيرى أنه لا ينبغي التتبع و التعمق و التشديد والتشغيب على الناس فيما أقرّه العلماء و عمل به السلف...[2]

رأي فقيه تونس و مفتيها الرصاع:

كان جوابه مختصرا وفي قضية واحدة ، وهي أنه يصحّ للذمين أن يشترطوا بناء الكنائس فيما يشترونه من أرض، إذ هم يؤدون الجزية.[3]

هذه أغلب ردود العلماء الرافضة لرأي المغيلي الواردة في المعيار للونشريسي .[4]

ب- الآراء المؤيّدة لرأي المغيلي :

رأي فقيه فاس و مفتيها أبو المهدي عيسى بن أحمد الماواسي:

---

[1] - الونشريسي ،المصدر السابق ،ج2،ص ص 229-231.

[2] - نفسه ، ص231.

[3] - نفسه ، ص 229.

[4] - والملاحظ على هذه الآراء حسب رأي حاج أحمد :اعترافهم ضمنيا بأن اليهود تمرّدوا وخالفوا الأحكام الشرعية لكن التحجّر والسكون وعدم التغيير هو طبيعتهم وفكرتهم ، و اتخذهم من السابقين لهم من العلماء أدلة لذلك. فعلينا غلق المخ والرأس والإتكال على ما تركه السابقون لنا من قضايا و أحكام .أنظر: حاج أحمد نور الدين ، المرجع السابق ،ص146.

يقول : "أن منزلة توات وغيرها من قصور الصحراء هي كلها ديار إسلام ، فلا ينبغي المسامحة بإقرار الكنائس فيها للكفار، وإن قال به جماعة من العلماء ،إلاّ أن يكون ذلك شرطا في عقود جزيتهم ،استنادا لمذهب المدوّنة ".[1]

رأي أحمد بن يحي الونشريسي:

يرى بوجوب هدم كنائس اليهود بتوات ،فيقول: "الحق الأبلج الذي لا شك فيه ولا محيد عنه ،أن البلاد التواتية و غيرها من قصور الصحراء النائية المسامتة لتلول المغرب الأوسط ....لا تتقرّر للملاعين اليهود –أبعدهم الله –فيها كنيسة إلا هدمت باتفاق ابن القاسم والغير".واستند في رأيه للعديد من الروايات عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن السلف الصالح و الفقهاء من كل عصر.[2]

رأي الحافظ الجليل أبي عبد الله محمد بن عبد الله ابن عبد الجليل التنسي :

في جواب مطول على مسألة كنائس اليهود المحدثة بالقصور التواتية برهن بالأدلة الدامغة ما لا يبقى معه لبس ، من خلال الأحاديث النبوية ، وآثار الصحابة و التابعين ،كقوله صلى الله عليه وسلم "**اهدموا الصوامع واهدموا البيع** "، وأحاديث كثيرة ، وأورد مثالا عن رسالة نصارى الشام إلى عمر بن الخطاب.[3]

رأي الإمام حافظ المغرب أبا القاسم العبدوسي مستوطن تونس:

كان متشدّدا في منع إحداث متعبد لليهود،فقال :"ليس لهم إحداث ولا إصلاح في شيء من بلاد المسلمين،وإذا نهوا عنه ولم ينتهوا صار ذلك منهم نقضا للعهد ،فتكون أموالهم للمسلمين و ذراريهم مستباحة على حكم الحربين في بلاد الحرب ،وتكون أولادهم ونساؤهم للمسلمين. ويضيف

[1] – الونشريسي ،المصدر السابق، ص 225.

[2] – نفسه ،ص ص 232-235.

[3] –نفسه ، ص ص235-249.

أن من يقوم بمساعدتهم أو نصرهم فهو كافر أو فاسق تلحقه لعنة الله ورسوله صلى الله عليه و سلم.[1]

رأي الفقيه أبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي :

بعد التحية قال السنوسي :" إلى الأخ في الله الحبيب في ذات الله تعالى القائم بما اندرس في فاسد الزمان من فريضة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ،التي القيام بها لا سيما في هذا الوقت علم على الإتساع بالذكورة العلمية و الغيرة الاسلامية و عمارة القلب بشريف الإيمان السيد أبي عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي حفظ الله تعالى حياته، وبارك في دينه و دنياه ، وختم لنا وله ولسائر المسلمين بالسعادة والمغفرة بلا محنة يوم نلقاه.ثم يذكّره بنص الرسالة التي أرسلها له الامام في تحريضه لأهل تمنطيط على هدم الكنائس التي لليهود ببلادهم ....وأرسلتم إلى بلدنا تستنهضون همم أهل العلم لينظروا في المسألة نظر أهل العدل و الانصاف ، ويبينوا فيها بيانا شافيا قاطعا لكل تخليط و تشغيب يرد أهل الهوى والانحراف ، فاعلم أني لم أرى من وُفِقَ لإجابة هذا المقصد وبذل وِسْعَه في تحقيق الحق وشفى غليل أهل الإيمان سوى الشيخ الامام أبي عبد الله محمد بن عبد الجليل التنسي ....، فليعوّل أهل تمنطيط وغيرهم من أهل الاسلام على ما أبداه من الحق في ذلك الجواب .[2]

[1] – يعلق الونشريسي على رأي العبدوسي في تلميحه على أن اليهود ما فعلوا ذلك إلا بمعين من المسلمين ،رغم أن هذا الأمر لم يرد تماما في نص السؤال المطروح عليه في جواز هدم الكنيسة ، ولا حتى التلميح ،لكنه لِما منحه الله من البصيرة كوشف بأنه لا يكون ذلك إلا بذلك.أنظر: الونشريسي ، المصدر السابق ،ج2 ،ص ص249-252.

[2] –الونشريسي ، المصدر السابق ، ص ص 252-253. أنظر أيضا : أحمد باب التمكتي ، **نيل الإبتهاج** ، المصدر السابق ، ص، 557. ابن مريم ، المصدر السابق ، ص130.

رأي شيخ الجماعة في فاس الامام أبو عبد الله ابن غازي:

كان ممن أنصف الامام ،فكتب على ظهر كتابه:" هذا كتاب جليل ،صدر عن نص عليل، وعلم بالصواب كفيل،وصاحبه غريب في هذا الجيل ،بَيْدَ أنه أطلق الكفر على التضليل .[1]

محاولة الامام المغيلي إقناع علماء فاس المعارضين لرأيه:

رأى المغيلي أن يناظر علماء فاس وأن يذهب إليهم مشافهة بعد عدم اقتناعهم مكاتبة ، وفي ذلك جاء في دوحة الناشر:" لما اختلف الفقهاء عليه قدم على فاس لأجل المناظرة بحضرة السلطان الشيخ بن أبي زكرياء الوطاسي ، فلما نزل بظاهر فاس خرج الفقهاء إلى لقائه والسلام عليه ، وكان له ستة مماليك من السودان ....، فلما استقر الجلوس بفقهاء فاس عنده ،قال لأحد المماليك واسمه ميمون وكان فقيهابأن يتكلم مع الفقهاء عن نازلة اليهود ،فأنِف هؤلاء من الكلام مع مملوك ورجعوا إلى ديارهم ، وفي الغد ركبوا إلى السلطان ليحرضوه على الامام ،وبأن مراده الظهور و المُلك وليس الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر- من الغيرة والمنافسة- ، فلما دخل عليه الامام ولقيه تكلم معه على مضرة الدين ومسألة اليهود وغيرها،فقال له السلطان :"إنما أنت عاوِلٌ على هذه الديار ، وليس لك قدر عليها". فردّ الشيخ وقال:" والله ما عندي إلا هي و الكنيف سيان "، ثم خرج عنه ولم يعد إليه، وهاجر إلى الصحراء ،و عاهد الله تعالى أن لا يلقى سلطانا أبدا، وعاد إلى توات.[2]

[1] - الشفشاوني ، المصدر السابق ، ص141.

[2] - نفسه ، ص141.

4- أثر الفتوى

أ- إعلان الحرب على اليهود :

بمجرد أن تلقى الإمام المغيلي فتاوى العلماء الذين أيدوه خاصة جواب الإمام السنوسي والإمام التنسي أمر أنصاره بالإستعداد لهدم تلك الكنائس . [1] ويورد الدكتور إيسلي مقران تاريخا لإجلاء اليهود خارج توات عام 882هـ -1478م .[2]

فبدأ المغيلي ثورته على يهود توات ببثّ الروح القتالية في أنصاره [3] ، و في ذلك تذكر المصادر نَظْمَهُ للعديد من القصائد الحماسية وأخرى في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ، و ذمّ اليهود ومن ينصر اليهود[4] ،تمكن المغيلي من جمع قوات كبيرة إلى جانبه خاصة قبيلة أولاد يعقوب أكبر القبائل التواتية في الشطر الشرقي من الإقليم ، و كذلك البرامكة و غيرهم من القبائل الأخرى المحاذية لقصر بوعلي. وبدأ بإعداد ما إستطاع من قوة و رباط الخيل ليرهبهم به ،كالمخزن الذي يعدّ شاهدا إلى يومنا هذا المسمى أَكْري [5] مخصص للذكيرة ، بناه المغيلي أثناء الحروب التي أعلنها ضد اليهود و هو ما يُظهر جدّيته في مسألة محاربة اليهود . [6]

---

1 - الشفشاوني ، المصدر السابق ،ص 140

2 - إيسلي مقران ،المرجع السابق ، ص54.

3 - حاج أحمد نور الدين ، المرجع السابق ،ص139.

4 - أحمد بابا التنبكتي ،**نيل الإبتهاج**، المصدر السابق ،ص 214. إبن مريم ،المصدر السابق ،ص 253. الحفناوي، المصدر السابق ،ص167. الشفشاوني ، المصدر السابق ،ص 140. بن فرحون ، المصدر السابق ،ص330. الزركلي ، المصدر السابق ،ج6، ص 216. عادل نويهض، المرجع السابق ، 308. محمد حجي ، **الموسوعة**... ،المرجع السابق، ص 247. عبد الله مرابط الترغي ، المرجع السابق ،ص626.

5 - أنظر الملحق

6 - حاج أحمد نور الدين ، المرجع السابق ، ص 43.

فكانت أولى الخطوات التي قام بها المغيلي في طرد اليهود هي هدم بيعهم التي أحدثوها في تمنطيط و غيرها من الواحات و القصور التواتية ،حيث أمر المناصرين له من أهالي توات بالاستعداد و التجهّز بالآلات الحربية ، وقصدوا بيعهم.

كما أمر بقتل من عارضهم دونها أو وقف في طريقهم، سواء من اليهود أو من المدافعين عنهم ، حيث كان يقول: « ويل لأولياء اليهود ،و هم الذين ينصرونهم في تعدي الحدود »[1].

وتذكر المصادر أن المغيلي حينما أمر جماعته بهدم الكنيسة قال لهم :« من قتل يهوديا فله علي سبعة مثاقيل » [2]، فكان شديد الشكيمة في الامر بالمعروف و النهي عن المنكر ، قائلا لأنصاره :« يجب على كل مؤمن أن يستحضر بُغض كل كافر لنبينا و سيدنا و مولانا و شفيعنا محمد صلى الله عليه و سلم، و يستحضر عظيم عداوتهم لنا و طعنهم علينا في ديننا، و إنّ كل كافر منهم وليّ الشيطان اللعين العدوّ المبين ...»[3]

بعد هاته الأحداث و التطورات و جد يهود توات أنفسهم مضطرّين إلى السرعة في اختيار مصيرهم المحتوم و الذي هو بين الموت أو الفرار،و يبدوا أنهم كانوا أضعف و أجبن من أن يصدُّوا إصرار و حماسة المسلمين بقيادة الإمام المغيلي ، فماكان من أغلبهم إلاّ أن هلعوا و فزعوا لريح هذه

1 – حاج أحمد نور الدين ، المرجع السابق ، ص 140.

2 – أحمد بابا التنبكتي ، **نيل الإبتهاج**، المصدر السابق ،ص 214. إبن مريم ،المصدر السابق ،ص 253. الحفناوي، المصدر السابق ،ص167. الشفشاوني ،المصدر السابق ،ص 140. بن فرحون، المصدر السابق، ص330. الزركلي ،المصدر السابق ،ج6، ص 216. عادل نويهض، المرجع السابق ، 308. محمد حجي ، **الموسوعة** ...،المرجع السابق، ص 247. عبد الله مرابط الترغي، المرجع السابق ،ص 626.

3 – محمد بن عبد الكريم المغيلي،**مصباح الأرواح**.... ، المصدر السابق،ص 30.

الحملة المناوئة لتواجدهم بتوات ، فجعلوا الليل ستارا لهروبهم وراء ظلمته ،للإبتعاد عن المنطقة إلى حين و النجاة بأنفسهم. [1]

وفي ذلك يذكر عبد الحميد بكري أن الإمام المغيلي أجلى من توات 363 يهوديا ،البعض منهم قصد طرابلس ،و جلّهم قصد سجلماسة ، وكانت بأيديهم الظوابط و القوانين التي تعتبر قواعد البلاد ، ففرّوا بها.[2] خاصة وأن تمنطيط حينئذ كانت دارٌ لضرب السكة في الصحراء [3]

وبحكم تحكم اليهود في إقتصاد المنطقة أدّى إجلاؤهم من توات إلى ضعف إقتصادياتها ، فتعطلت الكثير من الصنائع، لأنهم إذ ذاك أهل تجارة و صناعة ، فتمنطيط وحدها كان بها سبع حمامات للغسل ،و نيفا وخمسين صانعا للصابون... ، و بالجملة فقد كانت قبلة لكل ذي حاجة . و أشيع عن توات أنها بلاد غير آمنة ، لذلك رغب عنها التجار فأصبح الناس في ضيق وضنك معيشة ، وفي ذلك يذهب عبد الحميد بكري أن هذا الأمر و إن كان فيه شيء من الصحة ،إلا أنه يجب أن نعلم أن اليهود لعنة الله عليهم من روّج لهذه الدعاية الخبيثة، و ذلك من أجل سقوط إمارة المغيلي بتوات–سيتم التفصيل فيها –[4] .

أما الدكتور إسيلي مقران فيرى أن إجلاء المغيلي لليهود أثّر فعلا على إقتصاد المنطقة و أصيبت بحالة كساد حادة، لكن ذلك لم يكن السبب الوحيد ، فالظروف السياسية التي مرّت بها البلاد في عهد بني مرين أثّر كثيرا في المجالات الإقتصادية و تدهور التجارة، و مما زاد الأمر سوءا الإشاعات الوطاسيه عن الطرق التواتية ، التي مفادها أن الأمن و الإستقرار غير متوفرين في تلك المنطقة ،و كل من مرّ بها تعرّضت بضاعته للنهب و السرقة ، وهذا ما جعل الكثير من أصحاب

1 – حاج أحمد نور الدين ، المرجع السابق ، ص140.

2 – عبد الحميد بكري ،المرجع السابق ، ص31.

[3]–ينقل لنا عبد الحميد بكري عن القاضي محمد بن عبد الكريم المؤرخ انه وجد درهما مكتوبا عليه إسم تمنطيط بالقلم العربي ،أنظر: عبد الحميد بكري ،المرجع السابق ،ص 31.

[4]– عبد الحميد بكري ،المرجع السابق ، ص ص 31– 32.

التجارة و المال لايشعرون بالأمن في المدن التواتية ،فخرجوا منها عازمين على إيجاد أسواق جديدة و سبل بديلة عن الطريق التواتي ، و هكذا سيطرت الدولة الوطاسية على أهم طريق تجاري في الصحراء كلها ،لإدراكها المكانة الاقتصادية التي يحتلها هذا الطريق و القوة الهائلة التي يتمتع بها.[1]

وتدهور أوضاع اليهود لم يقتصر على جهة الصحراء ، فالنظام الدولي و التجارة الدولية ككل يشهدان في هذه الفترة تحولات عميقة ،بتغير الأدوار بين الشرق و الغرب، والتوجه نحو نظام غربي مسيحي بعد أن كان شرقي إسلامي، إثر ضعف الحضارة الإسلامية ،ساهم في ذلك معطيات الجديدة تمثّلت في الإكتشافات الجغرافية الجديدة و منها أمريكا ، رأس الرجاء الصالح ، مضيق ماجلان و غيرها ،و ما سيتبعها من أحداث كسقوط الأندلس وطرد اليهود و المسلمين منها ، وهو ما أثّر على اليهود و مواقعهم الإقتصادية والسياسية في الجزائر خصوصا، فتفككت هياكلهم و تحالفاتهم و مصالحهم التي كانت منتشرة على ضفتي المتوسط .

أدخلت هذه الظروف الجديدة اليهود في مرحلة صعبة ،و في جميع المجالات حتى أصبحوا عرضة لجميع الإحتمالات ،وهو ما تزامن على المستوى المحلي في توات بالظهور المفاجئ للإمام المغيلي الذي أحدث فعلا إختلالا حاسما في حياة اليهود خاصة بمدن الصحراء .

فقد ضربت هذه الحركة أكثر المناطق حساسية بشمال الصحراء ،التي كانت تمثل همزة وصل بين الضفة المقابلة للبحر المتوسط وشمال الجزائر من جانب، و الصحراء و بلدان جنوب الصحراء من جانب آخر ، بإستثناء غرداية و الميزاب و هذا لوضعيتهما المذهبية و السياسية الخاصة ، مما أدى إلى لجوء بعض اليهود الفاريين من تمنطيط نحو هذه المنطقة .[2]

[1]- في القرن الحادي عشر هجري تمكنت الدولة الوطاسية من إسترجاع الطريق التواتي بخطة أخرى مفادها أنها نقلت مركزه إلى تيمي بأدرار و روّجت له بالإزدهار و الأمان ،أنظر :إسيلي مقران ،المرجع السابق ، ص57.

[2]-إسيلي مقران ، المرجع السابق ، ص ص 294-295.

ولاحق الإمام المغيلي اليهود لغاية تمبكتو، وحرّض عليهم حاكمها [1] ،و ليس بها فقط بل استطاع أن يتتبّع أثرهم في البلدان المجاورة في السودان الغربي ، و بفضله جعل أمراء السودان يفرضون حصارا على أي يهودي يدخل المنطقة فيطردونه منها .[2]

ب – تنظيم الأوضاع في توات :

لما عمل الإمام عبد الكريم المغيلي على طرد اليهود من توات واستتبّ الوضع هناك ، أنشأ إمارة[3] له بيوعلي موزاية لتمنطيط ، وأصبحت بوعلي عاصمة للإقليم التواتي، بحيث تضم زاوية المغيلي التي كانت مركز كل تغيير.[4]

---

[1] –سالمي زينب،المرجع السابق ،ص50.

[2] – حاج أحمد نور الدين ، المرجع السابق ، ص 139.

[3] – الإمارة : لغة هي مصدر الفعل أمر ، وهو نقيض النهيّ ، أنظر :محمد بن مكرم ابن منظور ، **لسان العرب** ،ج1 ،ط1، دار صادر، بيروت 2003، ص149 .

–اصطلاحا ، يعرفها الماوردي بأنها ولاية عامة تصدر عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا ، انظر: أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب حسين الماوردي ، **الأحكام السلطانية و الولايات الدينية** ، تح: أحمد مبارك البغدادي ،ط1 ، دار ابن قتيبة ، الكويت ، 1989 ، ص40.

–مفهوم الإمارة عند المغيلي : "أنها خلافة من الله ونيابة عن رسول الله ،فما أعظم فضلها وأثقل حملها ، إن عدل الأمير ذ بحته التقوى فقطع أوداج الهوى ، وإن جار ذبحه الهوى فقطع أوداج التقوى " أنظر : محمد بن عبد الكريم المغيلي ، **تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين من حسن النيّة للإمارة** ، تح: محمد رمضان يوسف ،دار ابن حزم ،ط1،بيروت ،1994 ،ص 15.

والإمارة في نظره أيضا توجيه الناس الوجهة الصحيحة ليكون الامير عليهم مرشدا قبل أن يكون حاكما ،وموجها قبل أن يكون رادعا ،انظر،محمد بن عبد الكريم المغيلي، **أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي** ...، المصدر السابق ،ص23.

[4] – حاج أحمد نورالدين، المرجع السابق ،ص97.

وللزوايا دور كبير وهام في صيرورة الحياة الثقافية والإجتماعية بتوات ، فقد اعتبرت ركيزة أساسية وأداة هامة لتنمية المجتمع التواتي .[1]

أسّس الإمام المغيلي زاويته الشهيرة بقصر بوعلي سنة 885هـ-1480م [2] ، واختياره لبوعلي كان بسب وجود أنصار له من قبيلة أولاد يعقوب وكذلك البرامكة وغيرهم من القبائل الاخرى المحاذية لقصر بوعلي عكس تمنطيط التي لم يستطيع السيطرة عليها لوجود من يعاديه بها [3].

وفكرة تأسيسه لإمارة خاصة به جاءت بعد فشله في رحلته إلى فاس محاولا إقناع علمائها والسلطان الوطاسي وأيضا على إثر الخلاف الذي وقع بينه وبين شيخ زاوية أبي يحي المنياري عبد الله العصنوني .[4]

بدأ المغيلي نشاطه التعليمي بالزاوية ، فتوافد عليه الطلبة من جميع الأقطار والجهات ، فشهرة الرجل ومعرفة الناس به زادت الإقبال على زاويته ،وذلك بقصد المعرفة والتعلم ، فكان رحمه الله نعم المولى ونعم المجاهد [5] ، وسرعان ما جمعت هذه الزاوية بين المهمة التعليمية والمهمّة الحربية حيث كانت قاعدة إنطلاق جيش المغيلي لضرب قواعد اليهود بتازولت ، تاخفيفت، تاسفاوت ، تمنطيط ، أعز ملال وغيرها من أماكن تواجد اليهود بتوات .

استطاع الإمام المغيلي أن يجمع من حوله طلبة العلم من مختلف النواحي والجهات ، وقد كان للشيخ أتباع من تلاميذه يساعدونه في عمله الدعودي والإصلاحي انطلاقا من زاويته [6] ،ولم يقتصر

---

[1] – زينب سالمي ، المرجع السابق ،ص46.

[2] – عبد الحميد بكري ، المرجع السابق ،ص35.

[3] – حاج أحمد نورالدين، المرجع السابق ،ص47.

4 – زينب سالمي ، المرجع السابق ، ص56.

5 – عبد الحميد بكري ، المرجع السابق ، ص56.

6 – حاج أحمد نور الدين ، المرجع السابق ، ص47.

تكوينه على الطلاب الأحرار فقط ، بل عمد إلى تكوين طلاب له من العبيد والمماليك ، [1] وقد اشتهر منهم الفقيه ميمون الذي سافر معه في رحلته لفاس للقاء السلطان الوطاسي ضمن مجموعة أخرى من طلابه[2] .

وصل صيت الإمام المغيلي وأخبار زاويته جهات عديدة من داخل وخارج الوطن ،كبلاد السودان الغربي والمغرب الأقصى والمشرق العربي ، فكان يحرص على الأخوة الإسلامية واقامة نظام إسلامي لبناء مجتمع موحّد تحكمه مبادئ الشريعة الإسلامية [3].

اعتمد المغيلي أيضا على التصوف في مسيرته العلمية وتصحيح العقيدة الإسلامية في توات وبلاد السودان الغربي التي ارتحل إليها لتطهيرها من البدع والخرافات التي كانت تعيشها مجتمعاتنا [4].

فكلّ ذلك يدل أن حياة الرجل لم تكن كلها مقاتلات وحملات عسكرية بتوات ، لأن أحداث اليهود لم تدم سوى بعض سنوات ، وهو قبل كل شيء رجل علم وثقافة ودين . [5]

ويمكن تلخيص أهم أدوار زاوية الإمام المغيلي في الأمور التالية :

* كانت الزاوية مركز للعبادة والتعليم والتربية ،واستطاعت في وقت وجيز منافسة المركز والزوايا المهمة بتوات على رأسها زاوية الشيخ المنياري .

* اهتمام الزاوية بالجانب الإجتماعي كإيواء الفقراء وأبناء السبيل .....

* توفير الأمن والإستقرار للقوافل التجارية المارة بها، خاصة الآتية من السودان الغربي .

---

1 – كان له ستة مماليك من السودان كلهم يحفظون مدونة البرادعي عن ظواهر قلوبهم ، وكلهم فقهاء ، أخذهم معه إلى فاس ، انظر : الشفشاوني ، المصدر السابق ،ص131.

2 – حاج أحمد نور الدين ، المرجع السابق ، ص47

3 –عبد الحميد بكري ، المرجع السابق ، ص35.

4 – زينب سالمي ، المرجع السابق ،ص46.

5 – حاج أحمد نور الدين ، المرجع السابق ،ص47.

* تعدّ مركزا عسكريا لتجييش الجيوش واستنهاض الهمم، حيث كانت مركز الحرب الأولى والثانية ضد اليهود .

* كانت الزاوية مقرّا ثانيا لأكبر دار قضاء بتوات بعد مركز تمنطيط ، تختصّ بالفصل في القضايا والخصومات والنوازل التي كانت تشغل الأفراد والعشائر المنتمية إلى الجهة الشرقية من المجتمع الواحي التواتي، وبذلك أصبح في توات قاضيان شرعيان ، الأول في الجهة الشرقية وهو الإمام المغيلي بعدما أوكل له منصب قاضي الجماعة التواتية ، والثاني الشيخ العصنوني في الناحية الغربية، وكانا يقضيان في المسألة الواحدة أحيانا، وحكم كلّ منهما مغاير لحكم الآخر في كثير من المرّات .[1]

*من مهام زاوية الإمام المغيلي أيضا العمل على نشر الطريقة القادرية آخذا عن شيخه عبد الرحمن الثعالبي الذي أوصاه بنشرها في توات والسودان الغربي [2] .

هذا ما يتعلق بزاوية الإمام المغيلي التي كانت تعتبر إمارة خاصة به ،لكنه لم يمكث بها طويلا، وهو ما يثبت بأنه لم يكن يشرئبّ نظره للسلطة والإمارة [3] ،مثلما اتّهمه به سلطان فاس حينما ذهب إليه المغيلي،فقال له:" إ نما أنت عاوِلٌ على هذه الديار ، يعني دار الملك ، وليس لك قدر عليها..."[4] ،والأدلة التي تكذب هذه التهمة كثيرة من بينها :

* أن سبب إنشاء المغيلي لهذه الإمارة ،ليضع لنفسه مكانا يرجع إليه وقت المشاكل والصعوبات ، وحتى يكون قويّا بدينه وبتلاميذه وبماله ، وذلك بتحقيق كل أركان الدولة بالمعنى

1 – حاج أحمد نور الدين ، المرجع السابق ، 48.

2 – زينب سالمي ، المرجع السابق ،ص46.

3 ، حاج أحمد نور الدين ، المرجع السابق ،ص93.

4 – سبق ذكرها،أنظر : الشفشاوني ، المصدر السابق ،ص141.

الحديث:(الشعب – الأرض – السلطة) [1]، وبدافع الحفاظ على الطابع الإسلامي والشخصية الإسلامية للأهالي، ونشر أفكاره حتى يحرّر الإمارة من التبعيّة لأي جهة معينة [2].

* الدليل الأكبر على عدم اهتمامه بالسلطة هو مكوثه عند أمراء السودان وحضوته لديهم ، ومكانته عند المجتمع السوداني ،فكان بإمكانه طلب الإمارة أو الولاية أو اقتطاع أرض باسمة ،لكنه لم يطلب ذلك وإنما بقي ملاصقا لهم ناصحا ، مدرسّا ،مقتيّا ، قاضيّا ، آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر.[3]

بعد أن استتبّ الأمر للإمام المغيلي في توات ،وطرد اليهود وشتتهم في جميع الأمصار ، وضع على رأس زاويته وإمارته ابنه عبد الجبار،وعهد له بجهاز الشرطة [4] ، الذي اعتبره من الأولويات التي سعى لإقامتها ، وكان يضم في صفوفه أفراد من خيرة أنصاره والموالين لحملته الأولى على اليهود ، بهدف حماية النظام الداخلي لإقليم توات ،وبسيط سلطته على كافة القصور التابعة للإمارة الجديدة[5].

كتب الإمام المغيلي رسالة لابنه عبد الجبار يستخلفه على الإمارة ،نصها:

«بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله : من عبد الله تعالى محمد بن عبد الكريم المغيلي إلى جميع المسلمين ،سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

أما بعد :فإن المؤمنين إخوة كالبيان المرصوص يشدّ بعضه بعضا ، وقد علمتم ما كنت فيه من الجهاد في الكفرة وأهل الفساد ، حتى توليت بالولاية الشرعية على جميع ناحية توات ، وغيرّت فيها من المنكرات ما لايحصى، ثم استخلفت ولدى محمد (يقصد عبد الجبار) عند سفري ، لعلمي أنه

1 – حاج أحمد نور الدين ، المرجع السابق ،ص84.

2 – نفسه ،ص49.

3 – نفسه ،ص93.

4 – سالمي زينب ، المرجع السابق ،ص31.

5 – حاج أحمد نور الدين ، المرجع السابق ،ص49.

أهل لذلك ، إن وفقه الله وأعانه . وقد أوصيته بتقوى الله في جميع أموره ، وأكّدت عليه وعلى جميع إخوانه أن تكون جميع أمورهم من قتال وغيره على نصرة ثلاثةأشياء وهي : نصرة دين الله ، ومن ينصر دينه ، ومن لا ناصر له إلا الله .ولم أسمع عنه في غيبتي إلا الخير والعزم والنصر ، إلاّ أن الكلام ترجمان الشيطان، لايزال يطغى على أيمة العدل و الإحسان بالكذب والبهتان ، في كل زمان، فلا يصرفهم عاقل صحيح الإيمان ، وكيف يصرفهم عاقل وقد سبقت إذايتهم لأبي بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان بن عفان رضي الله عنهم وعن أصحاب رسول الله أجمعين، انتهى .»[1]

و هذه الرسالة الإستخلافية تحمل دلائل كثيرة منها :

* إشعار الناس بتوليه ابنه عبد الجبار، وهو ما يوضّح مكانه المغيلي في توات وعلى كل قصورها قائدا وقاضيّا بعد طرد اليهود ،والحاكم الشرعي للمنطقة .

* إظهار أن المغيلي لم يجد من يصلح لهذه المهمة أحسن من ابنه،لما كانت له من مكانة علمية ودينية في المجتمع ، كعالم متمكن في العلوم الشرعية [2] ، وكان معروفا بالصلاح والخير، حتى قيل أن عبد الله العصنوني كان يناديه بسيدي عبد الجبار .[3]

ج– ردّ فعل اليهود :

المؤكد أن الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي لم يكن رجل دنيا ولا طالب ملك ، فمجرّد أن أحسّ بالإستقرار في المنطقة، اتّجه صوب بلاد التكرور داعيا إلى الله تعالى ورسوله .

---

1 – هذه الرسالة موجودة في مخطوط أضواء على إقليم توات لمحمد بن عبد الكريم البكري ،أنظر: مبروك مقدم ، **الإمام المغيلي وأثره الإصلاحي** .....، المرجع السابق،ص100-104.

2 – حاج أحمد نور الدين ، المرجع السابق،ص69.

3 – عبد الحميد بكري ، المرجع السابق ،ص31.

فيقال أن اليهود الذين فروّا من تمنطيط ، وقصدوا طرابلس، شكوّا للباي ، وادعوا أنهم أهل ذمة وظلموا ، فبعث ولده في جملة عسكر وعشرة من العلماء ، وذلك سنة 890هـ ، فلما طاف الترك بتوات ، أظهر لهم ولد الشيخ عبد الجبار بِشْرِيَةَ الرياسة ، فقتلوه . [1]

وأثناء إقامة المغيلي في بلاد السنغاي عند السلطان الحاج محمد اسكيا ، سمع بمقتل ابنه عبد الجبار من طرف يهود توات ،فإنزعج أشدّ الإنزعاج من هذا الخبر الفجيع ، لأن فيه عداوة الدين وقتل الولد ، وفي ثورة الغضب الجامح ،طلب من السلطان إلقاء القبض على أهل توات القاطنين بغاو العاصمة ،لأنه كان يرى أن أهل توات أعانوا اليهود على قتل ابنه ، فامتثل الحاكم لأمره ، وزجّ التواتيين في السجن [2] غير أن الشيخ أبا المحاسن محمود بن عمر التكروري [3] طلب من السلطان إطلاق سراحهم عملا بقوله تعالى : "ولا تزر وازرة وزرة أخرى " [4]، وأنكر على الإمام المغيلي فعلته وعاتبه وقال له : «ما ذنب هؤلاء بسنغاي بما فعله أولئك بتوات »، فتنازل المغيلي عن رأيه ، وتدخل لدى الأسقيا ،وطلب منه إطلاق سراحهم، فإمتثل لرغبته ، مما يدل على مكانة المغيلي عند هذا الحاكم .[5]

بعد ذلك سافر رحمه الله تعالى إلى الحج ومرّ على الديار المصرية ، ومنها التق ى بالعالم السيوطي[6] وغيره من الأعلام ، ثم واصل رحلته نحو البقاع المقدسة ، ومما يذكر عنه رحمة الله أنه ما

---

1 – عبد الحميد بكري ، المرجع السابق ،ص32.

2 – حاج أحمد نور الدين ، المرجع السابق ،ص59.

3 – أبا المحاسن محمود بن عمر والتكروري ، وزيرالسلطان حينها ، انظر : عبد الحميد بكري ، المرجع السابق ، ص32.

4 – عبد الحميد بكري ، المرجع السابق ، ص32.

5 – بن فرحون ، المصدر السابق ،ص330. ابن مريم ، المصدر السابق ،ص313. أحمد بابا التنبكتي ،**نيل الإبتهاج** ، المصدر السابق ،ص168 . حاج أحمد نور الدين، المرجع السابق، ص59.

6- [هناك تضارب في الآراء بين المؤرخين في خصوص إلتقاء السيوطي بالإمام المغيلي إن كان في السودان الغربي أو في المشرق] .

إن دخل المسجد النبوي وقارب الروضة الشريفة وتجلت له أنوار الحبيب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حتى قال :

ثم الصلاة وتسليم الإله على هذا النبي الرفيع القدر و الشيم، وقال:

بشراك يا قلبي هذا السيد الأمم وهذه حضرة المختار في الحرم
فطب وغب عن هموم كنت تحملها وسل تنل كل ما ترجوه من كرم
يا أحمد يا أبا بكر و يا عمر نزيلكم في أمان غير منهضم
يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي فالعبد ضيف وضيف الله لم يضم
يا سيد الرسل يامن ضيف ساحته يبيت في الأمـــن في خير وفي نعم
يا أكرم الأنبيـــــا يا شفـــاعته عمت على الخلق من طفل إلى هرم
إني فـقير إلى الـــعفو ومـــرحمة وأنت أدرى بما في القـلب من ألم
والحال يغني عن الشكوى إليك وقد عرفت حالي وإن لم أحكه بفَمٍ
فاشفع لعبـــدك واجـبر كسره فلقد أودي به الكسر مما نال من جرم [1]

لقد تأثّر المغيلي بحادثة اغتيال ابنه ،مما حفّزه على العودة إلى توات ، فلما وصلها وجد اليهود قد أُعيدوا إلى مكانتهم [2] ، حيث كان الشيخ العصنوني من ورائه حينما كان المغيلي في التكرور قد أصدر فتواه إلى الشيخ عمر بن عبد الرحمن أمير تمنطيط آنذاك ، لردّ اليهود إلى أماكنهم وكنائسهم[3].

تلقى الإمام المغيلي إعتذارا من شيوخ توات بأن قتل ولده كان بتعدٍّ من الترك، ولاقدرة لهم على ردّهم ، وفي باطن الأمر أنهم تلقلوا الترك بالمسرّة ، واشتكوا من فعل المغيلي ، وادّعوا عليه أنه يريد العلوّ و الفساد في الأرض .

1- عبد الحميد بكري ، المرجع السابق ،ص33.
2 - حاج أحمد نور الدين ،المرجع السابق ص، 99.
3 - نفسه ،ص44.

حاول الإمام المغيلي إعادة الكرّة بالحرب ضد اليهود ،فجهز جيشا ونهض به يريد أن يصنع بهم مثلما صنع ، وحين وصل تمنطيط برز له الشيخ عمرو بن عبد الرحمن في جيش كثيف مقدّما على الجيش ابنه علي بن عمرو، فالتقى الجمعان حذو قصر أولاد اسماعيل في الجهة القبلية من تمنطيط ، ووقعت بين الفئتين حرب عظيمة مات فيها جمّ عفير من الطرفين [1] ،وفقد المغيلي قاعدته الخلفية وسنده الكبير ، فهُزِم في المعركة ،وتراجع أنصاره إلى الخلف في حركة الكرّ و الفرّ.[2]

أما الأستاذ حاج أحمد نور الدين ذكر أن الإمام المغيلي حينما جاهد اليهود مرّة أخرى طهرّ الأرض منهم، ومن ذلك الوقت لم تبقى أي كنيسة في هاته الأرض لليهود ولا لغيرهم إلى أن جاء الإحتلال الفرنسي في وائل القرن 20م،وبنا كنيسة له في أدرار [3].

ولا يمكننا إغفال دور أولاد سعيد الذين تفانوا في محبّة الشيخ المغيلي إلى حدّ لا يتصور ، وهو الشيء الذي دفعهم إلى أخذ العهود والمواثيق على تولّي حماية أهل بيته (زوجته وأولاده) في غيابه عن البلاد ومطاردته لليهود في أقطار توات وغيرها ، ومن مواقفهم الكبيرة التي أجمع عليها كل أولاد سعيد، هو تقديم إحدى بنات الأعيان فداءا لبنت المغيلي مع الإعتراف لليهود بأنها البنت المطلوبة، وذلك عندما جاءوا بجيوش لا قبل للبلاد بها، تطلب البنت بتوعُدٍ وتهديد بعد قتلهم لولده عبد الجبار.[4]

د- وفاة الإمام المغيلي :

بعد حربه الثانية ضدّ اليهود ،عاد المغيلي إلى بوعلي فتقدّم له البرامكة سكان القصر، وعرضوا عليه الإقامة عندهم ،فلبّى الدعوة واستقرّ أخيرا في قصر بوعلي ، وهناك أسّس مسجده وخلوته ،

1 - عبد الحميد بكري ، المرجع السابق ،ص33.

2 - مبروك مقدم ،**الإمام عبد الكريم المغيلي من خلال الوثائق التاريخية**.. ، المرجع السابق ،ص300-301.

3 - حاج أحمد نور الدين ، المرجع السابق ،ص44.

4 - سبق ذكرها في الفصل الأول،أنظر :حاج أحمد نور الدين ، المرجع السابق ،ص40.

وتخصّص فيهما للدعوة والعبادة [1]،حتى وافته المنيّة سنة 909هـ-1503م ،فنقِل إلى مشارف القصر وهناك دفن، ومنذ ذلك الحين أخذ موضع دفنه إسم زاويته المعلومة إلى حد الآن في المنطقة. [2] (رحمه الله)

1 - أحمد أبا الصافي جعفري ، المرجع السابق ، ص07.

2 - تُجمع المصادر على تاريخ وفاة الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي ،أنظر : بن فرحون ، المصدر السابق ،ص 330. محمد مخلوف ،المصدر السابق ،ج 2،ص274 . أحمد بابا التنبكتي ،**نيل الإبتهاج** ،المصدر السابق ،ص 167. ابن مريم ، المصدر السابق ، ص 253 .الحفناوي ،المصدر السابق ،ص 167.الشفشاوني ،المصدر السابق ،ص 140. الزركلي ،المصدر السابق ج6،ص216. عبد الله المرابط الترغي ، المرجع السابق ،ص625، عادل نويهض، المرجع السابق ،ص308.

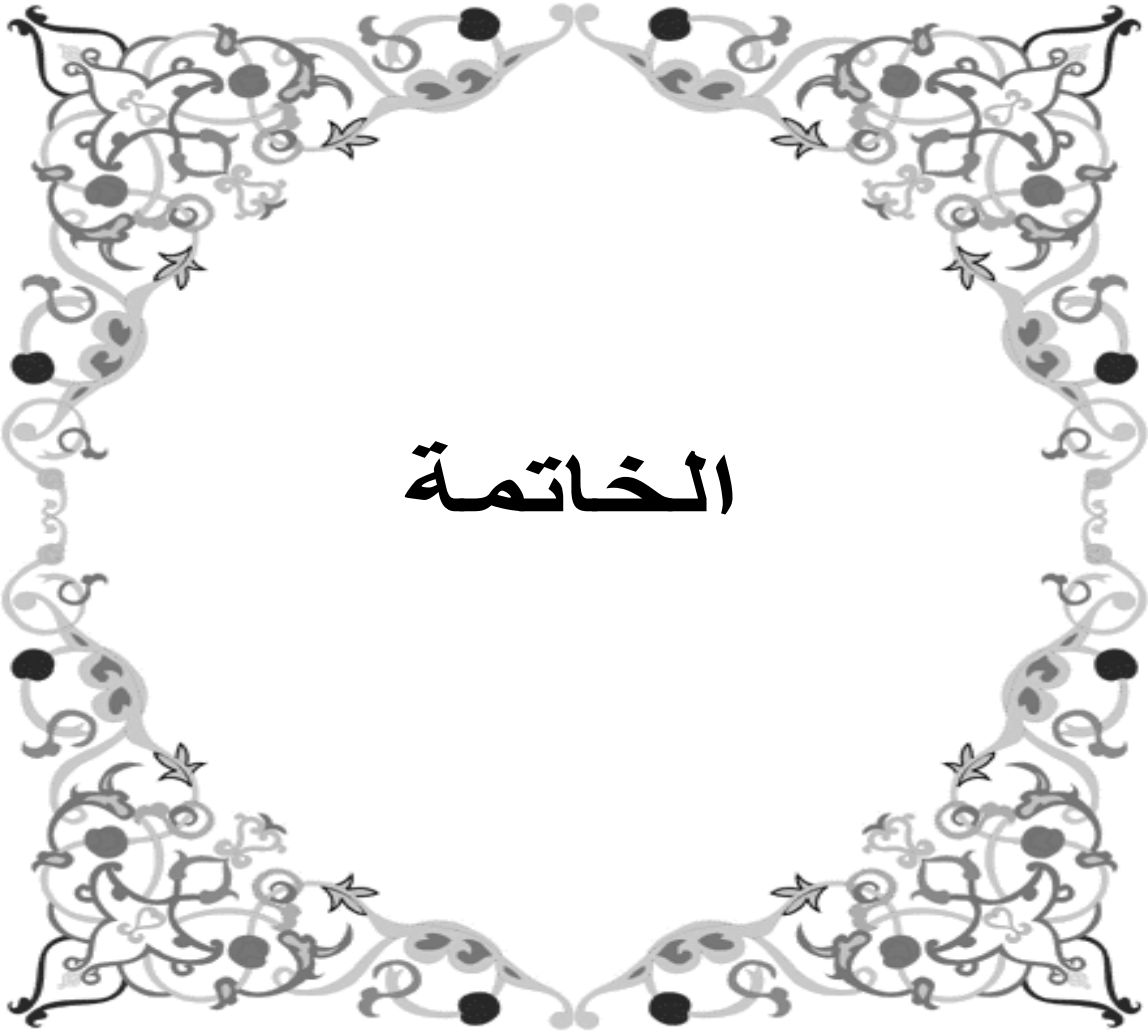

الخاتمة

بعد إتمامنا لهذا البحث حول قضية صراع الإمام المغيلي مع يهود توات ، حاولنا استخلاص النتائج التالية :

- ✓ يعدّ الإمام المغيلي من العلماء البارزين الذين ذاع صيتهم في كامل أرجاء بلاد المغرب الإسلامي ، و بلاد السودان الغربي ، لما تركه من ثروة فكرية هامة تمثلت في العديد من المؤلفات في مختلف العلوم ،وهو ما ميّزه عن علماء عصره ، فلا يكاد أحد منهم ينافسه على مرتبة الريادة في الحياة العلمية ، لانه استطاع أن يجمع بين العلم و التعبد و التصوف ، إضافة إلى العمل لإدراكه أن الإسلام كل لا يتجزأ ، فهو الدين الأوحد الذي يجمع بين المادة و الروح .
- ✓ كان منهجه في الحياة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، فلم يكن يستقر في موضع إلا قام بهاته الفريضة الدعوية ، وكان ذلك ظاهرا للعيان أثناء تنقلاته بين مختلف الأماكن و الأوطان ،وهو ماطبقه في توات أثناء مكوثه بها و جهاده ضدّ اليهود، فلم يستطع السكوت عن تدخل اليهود في الأمور السياسية و الإقتصادية لتوات.
- ✓ يظهر جليا أيضا من تتبع الدعوة الإصلاحية للإمام المغيلي أنه لم يكن يتكلم فقط ، وإنما يُتبع القول بالفعل ، فكان عمليا بكل معنى الكلمة ، فلا يفكر في شيء إلا ويحاول تطبيقه على أرض الواقع .
- ✓ قيام المغيلي بقتال اليهود لم يكن كرها وحقدا على جنس اليهود كما يدّعي البعض ،فاليهود يبقون أهل ذمة، ولقد أوصت عليهم الشريعة الإسلامية . لكن الإمام كره منهم تصرفاتهم و تدخلهم في الشؤون العامة للمسلمين، وتعليمهم الربا و السرقة و التلاعب بالأسعار ، وصولا إلى تكوين مجتمع ربوي ، لذلك عمل المغيلي على وضع حدّ لتلك المعاملات ، وحماية المجتمع الإسلامي من أخلاقيات اليهود البذيئة كالخيانة و السرقة و الكذب وغيرها من الخبائث و المنكرات .
- ✓ كما يمكن إرجاع سبب اتخاذ المغيلي موقفا صارما ضدهم إضافة إلى سوء أخلاقهم هو عدم التزامهم بأحكام الشرع كدفع الجزية المفروضة عليهم ، وطعنهم في الإسلام كلما سمحت لهم الفرصة إما بتحريف القرآن الكريم ، أو سبّ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

- ✓ ولا شك أن القطرة التي أفاضت الكأس عند المغيلي ، هي بِيَعُ و كنائس اليهود بمدن الصحراء ، وانقسام العلماء بين مؤيد و معارض ، فالمغيلي اعتبر بناءها في مدن إسلامية من قبيل التعدي على المسلمين.
- ✓ و يمكننا الجزم على عدم سعي المغيلي للسلطة و الجاه كما تمّ اتهامه ، رغم تأسيسه لإمارته ،و بينّا الهدف منها كانطلاقة من أجل نشر التعاليم الإسلامية ، ومحاربة البدع والخرافات.
- ✓ كما كانت حياة المغيلي كلها كدّ ونشاط و غيرة على الإسلام و المسلمين في العالم.امتدّ صداها داخل وخارج وطنه ، فلم يكن من المنظرين فقط ، بل كان يسعى بنفسه إلى إقناع الآخرين ، فنازلة اليهود كلفته التنقل أحيانا بعيدا عن موطنه ، ولم يكتف بإرسال الرسائل و إيفاد الرسل فقط، بل كان يذهب بنفسه لمناظرة غيره إذا استدعت الضرورة .
- ✓ وضّحنا في بحثنا علاقة فتوى الإمام المغيلي بواقع عصره الذي يعدّ عهدا حاسما في بلاد المغرب عامة و المغرب الأوسط خاصة ، لان الأوضاع السياسية لم تكن على أحسن حال، بسبب الصراعات التي ظهرت على مستوى الملوك و الأمراء من أجل الحكم ، فكان ناقما على ذلك الوضع المتردي المتمثل في ارتماء السلاطين في أحضان اليهود
- ✓ كما يمكننا اعتبار الفتاوى التي صدرت في حق هذه القضية مرجعا يعود إليه المختلفون في حكم مثل هذه النازلة ، و يبقى التعامل معه متداولا بين المتقدمين و المتأخرين من العلماء .
- ✓ و يمكننا القول أيضا أن أمثال المغيلي قلّة ممن يقولون الحق ولا يخافون في ذلك لومة لائم ،فلقد أعلن صراحة على انحراف الحكام و تمكينهم لليهود في مواضع حساسة كالمناصب السياسية العليا أو المكانة الإقتصادية التي تزيد في ثرائهم .
- ✓ نبّه المغيلي مسبقا إلى الخطر الذي ستؤول إليه أوضاع بلاد المغرب في حال استمرار الحكام فيها على سيرتهم ، وفعلا ذلك ما حصل ، فقد هاجم الإسبان و البرتغال بلدان المغرب بعد ذلك بقليل كما هو معروف .
- ✓ بعدما اطلعنا على معظم جوانب شخصية الإمام المغيلي يمكننا اعتبار أفكاره صالحة لزماننا خاصة الإصلاحية منها و الدعوية ، فما أحوجنا إلى إمام يجمع بين العلم والعمل .

رغم كل ماقيل يمكننا القول أنه مازال هناك الكثير لنعرفه عن الإمام المغيلي ، من خلال نفض الغبار عن الكنوز الدفينة في مخطوطاته التي تنتظر من يخرجها إلى النور ، ولا نبالغ إن قلنا أنه لولا هذا الرجل

وما قام به في عصره لكان علم إسرائيل يرفرف على سماء الجزائر ، فرحم الله الشيخ الجليل و جازاه الله عنا خير الجزاء.

الملاحـق

الملحق 01.

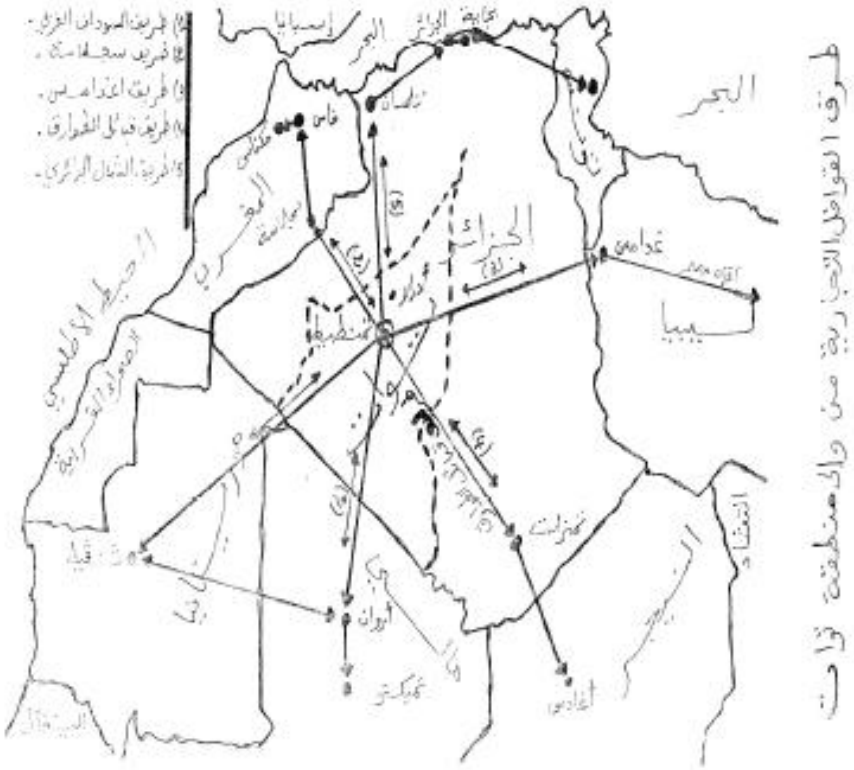

طرق القوافل التجارية من وإلى إقليم توات

1

[1] أحمد أبا الصافي جعفري ، المرجع السابق ، ص 71.

الملحق 02

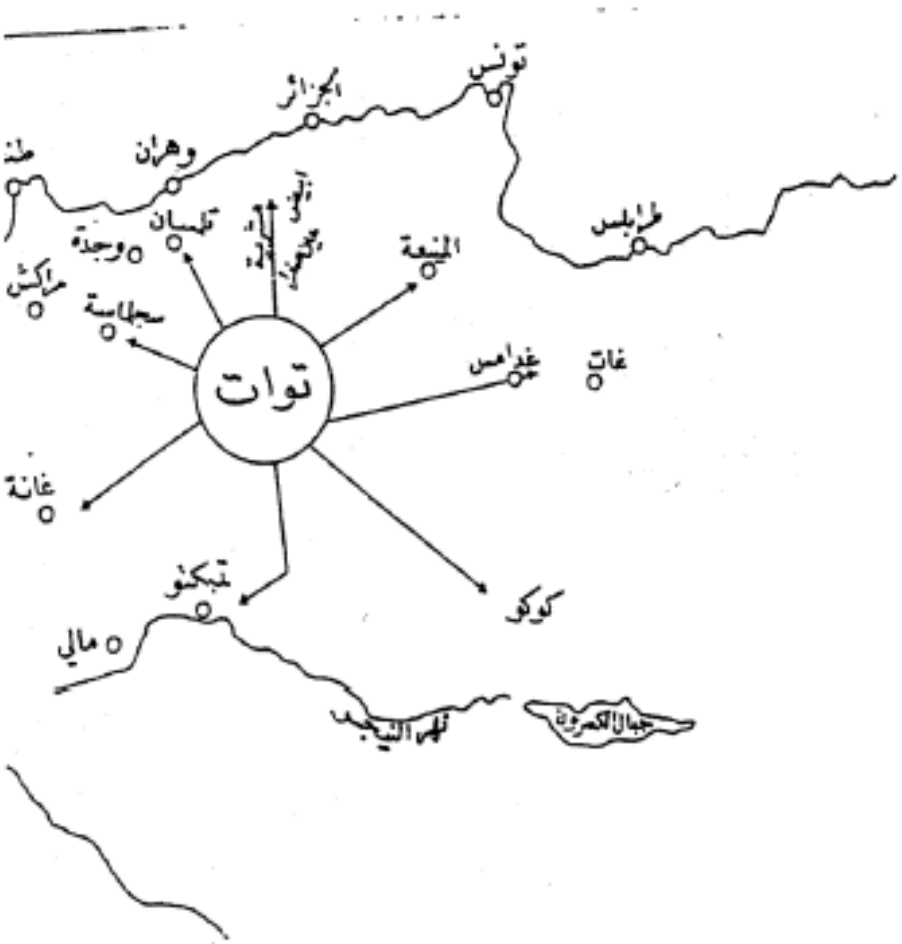

خريطة تبين أهم طرق المواصلات في شمال افريقيا وغربيها

[1]

[1] محمد شحادة علي رية ، المرجع السابق ، ص226.

الملحق 03

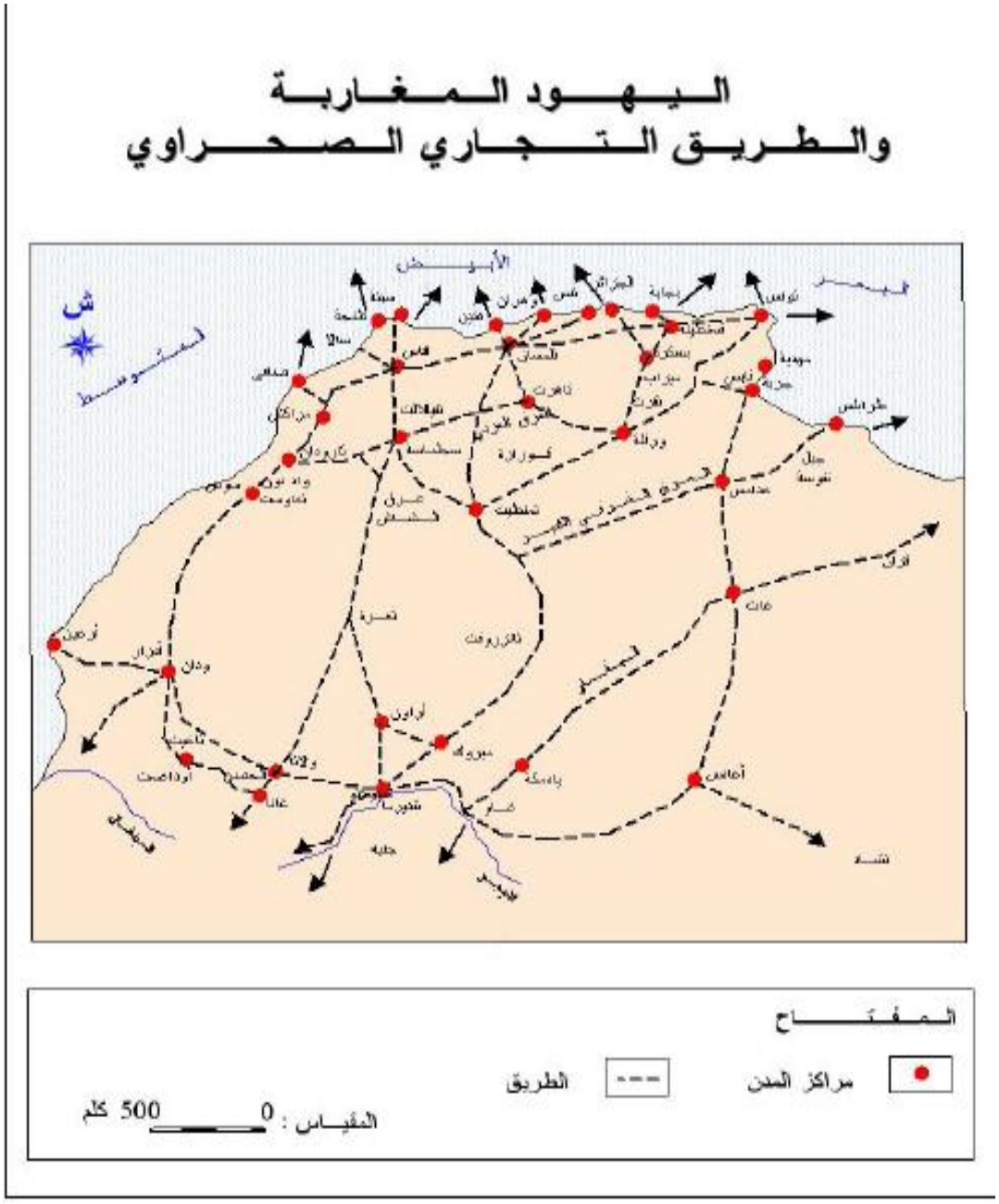

[1]

خريطة تمثل الطرق التجارية في العصر المريني

[1] فاطمة بوعمامة ، المرجع السابق ، ص 260.

الملحق 04

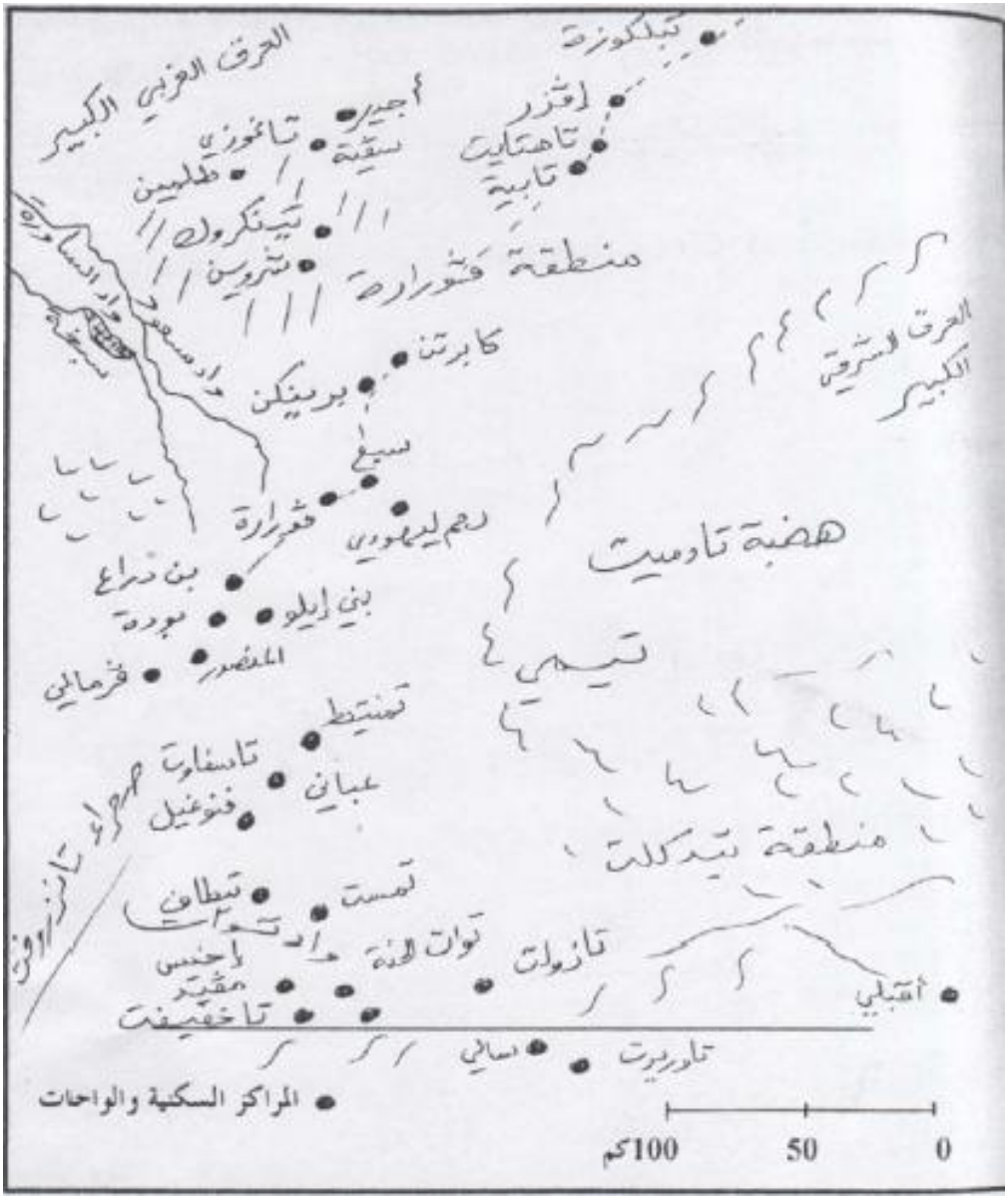

القرى و الواحات اليهودية بتوات في القرون الوسطى.

[1] JACOB OLEIL , Ibid ,p15

الملحق 05

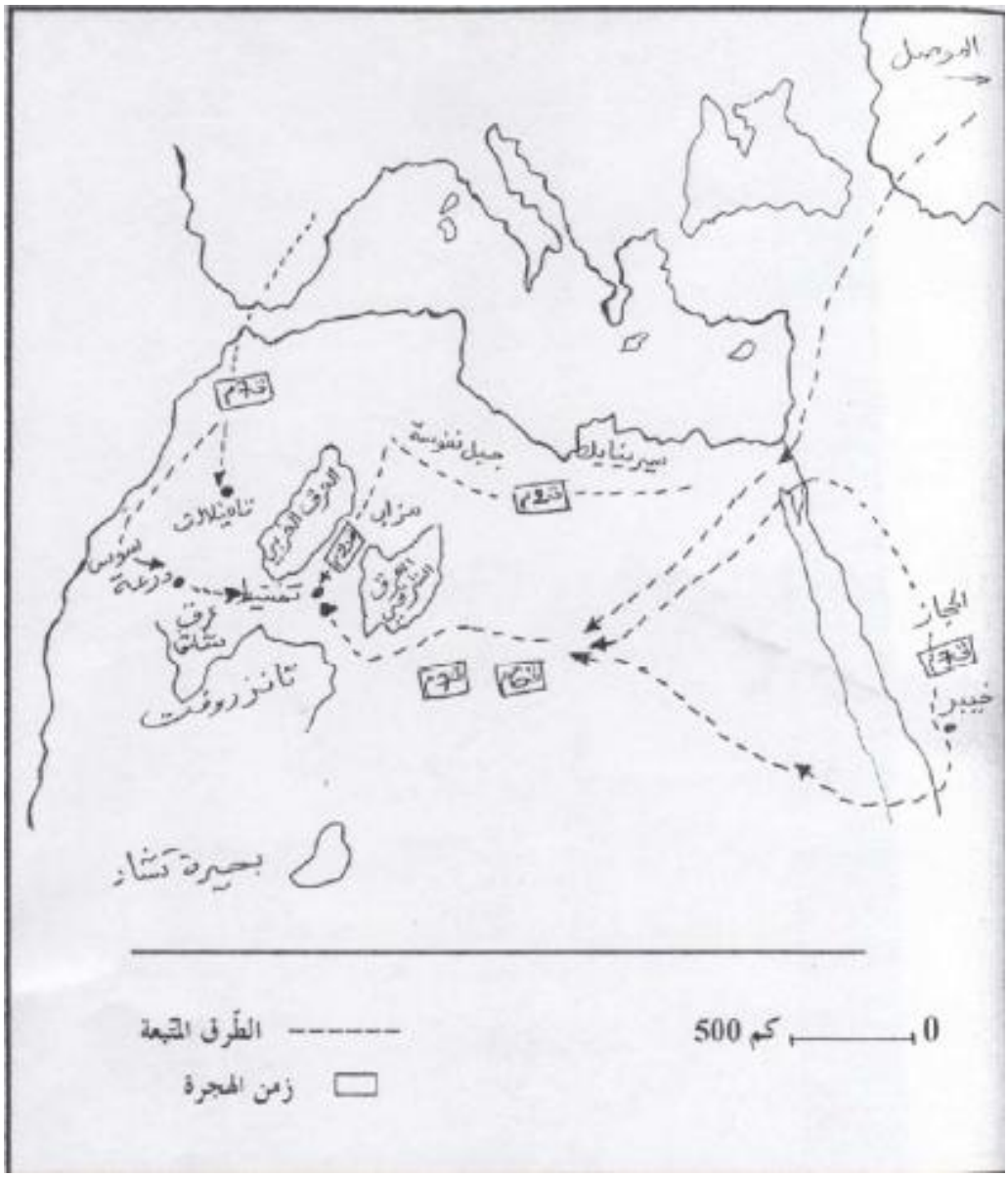

خريطة تمثل الهجرات اليهودية إلى توات .

[1] JACOB OLEIL , Ibid ,p14

الملحق06

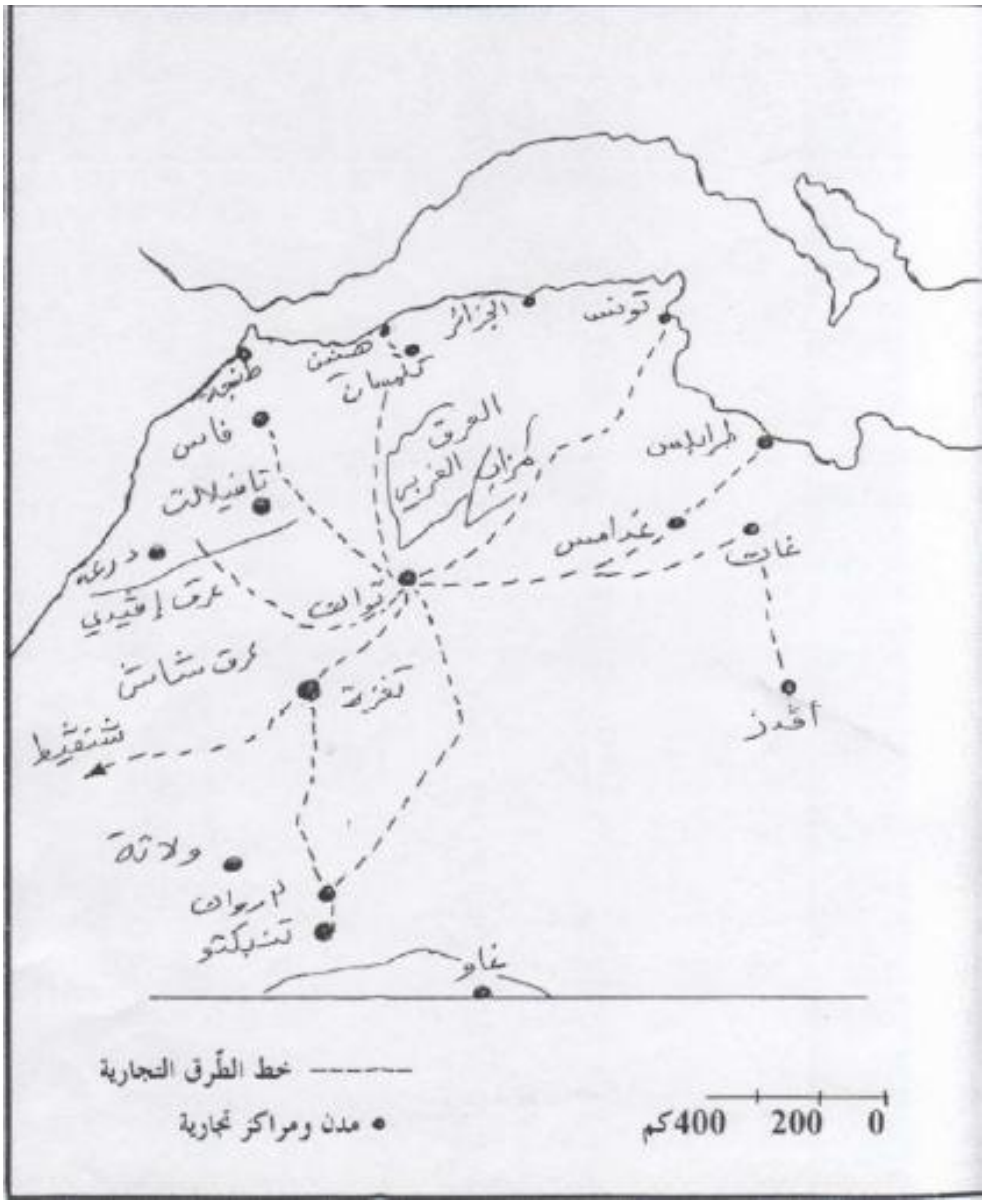

[1]

خريطة تمثل التجارة المغربية الإفريقية ، وطرقها الصحراوية في

القرون الوسطى

[1] JACOB OLEIL , Ibid, p57

الملحق 07

قبر ابن المغيلي علي المشهور بالزيعلي الموجود بقصر كالي أولاد سعيد [1]

[1] حاج أحمد نور الدين ، المرجع السابق ، ص223.

الملحق 08

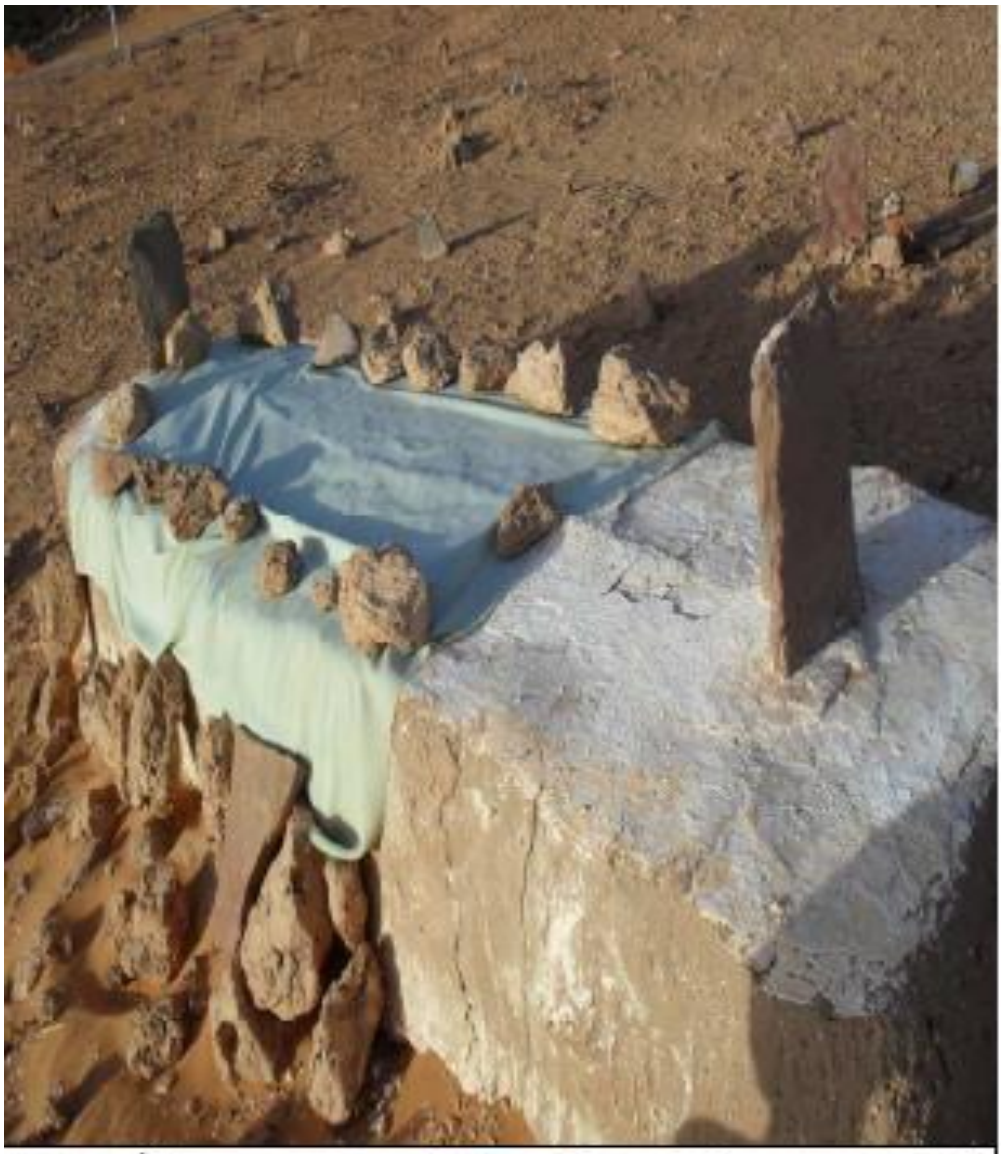

قبر السيدة زينب بنت الثعالبي زوجة الإمام المغيلي – موجود بقصر كالي أولاد سعيد [1]

[1] حاج أحمد نور الدين ، المرجع السابق ، ص222.

الملحق09

الخلوة التي كان يتعبد بها الإمام المغيلي بأولاد سعيد

[1]

[1] حاج أحمد نور الدين ، المرجع السابق ، ص224.

الملحق 10

مصلى العيدين الذي أسسه الإمام المغيلي بأولاد سعيد

[1]

[1] حاج أحمد نور الدين ،المرجع السابق ،ص225.

الملحق 11

مخزن الأسلحة المعروف بأكرى الموجود بتمنطيط

[1]

[1] حاج أحمد نور الدين ، المرجع السابق ، ص228

الملحق 12

الكرسي الذي كان يجلس عليه الإمام المغيلي في وسط السوق - أولاد سعيد [1]

[1] حاج أحمد نور الدين ، المرجع السابق ، ص227.

الملحق 17

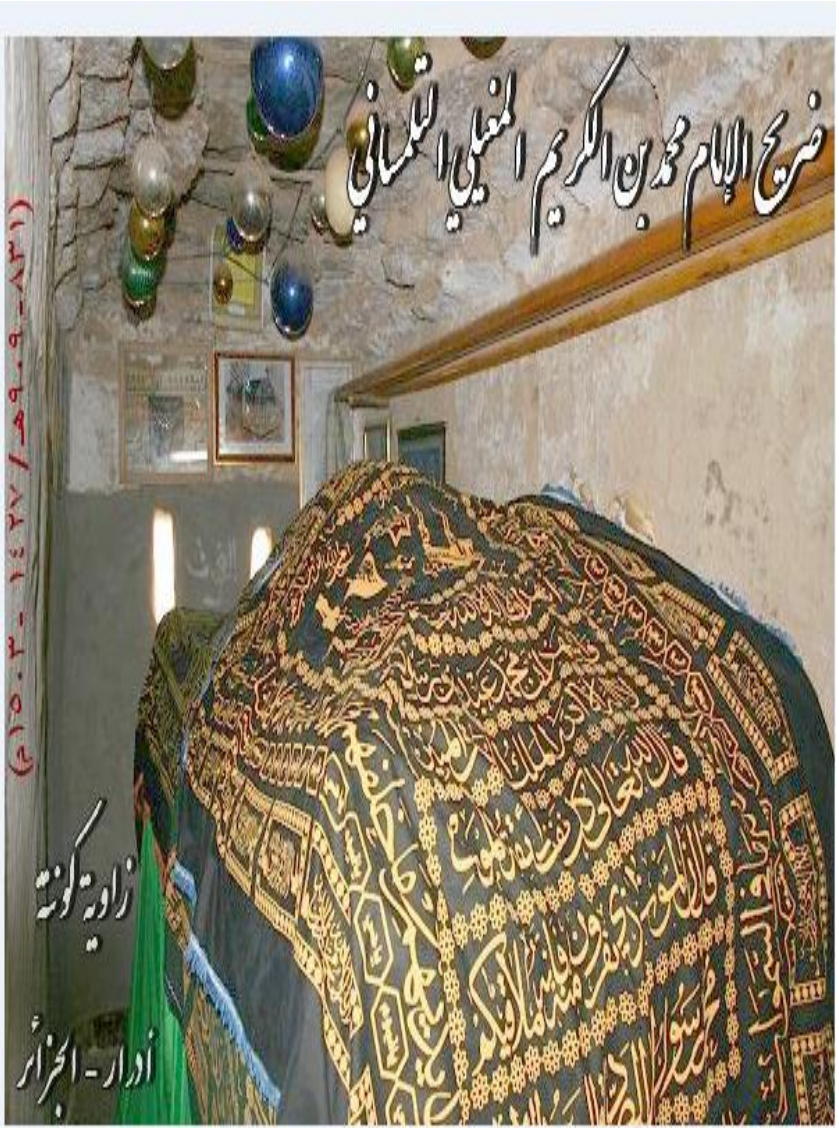
ضريح الإمام محمد بن الكريم المغيلي التلمساني
(٨٣٢-٩٠٩هـ/١٤٢٧-١٥٠٣م)
زاوية كونتة
أدرار - الجزائر

الملحق 18.

الملحق 19

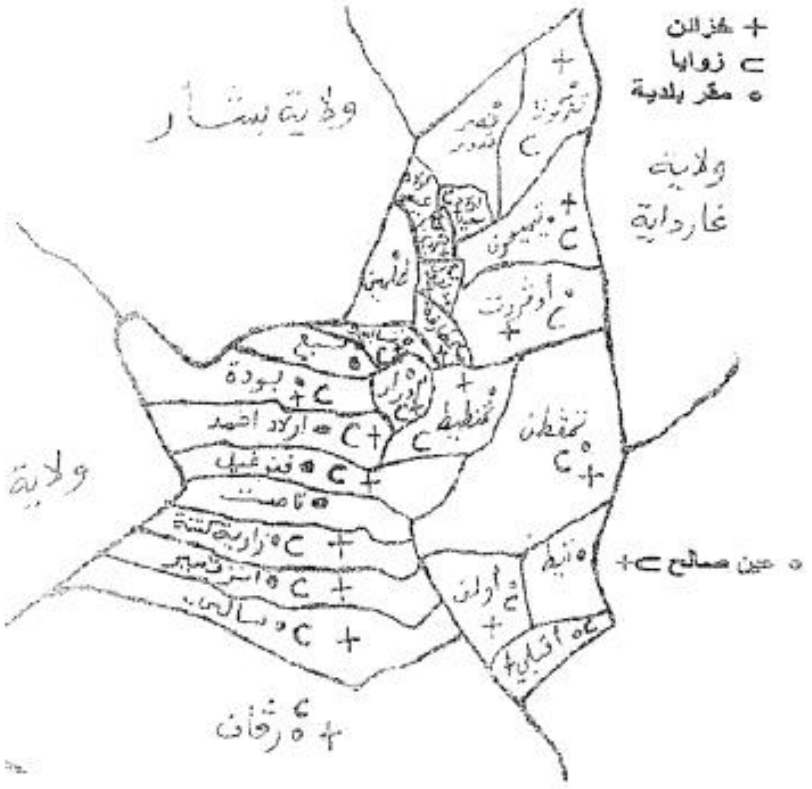

خريطة لأهم الزوايا والخزائن بمنطقة توات، نقلا 1

[1] زينب سالمي ، المرجع السابق ، ص89

البيبليوغرافيا

قائمة المصادر و المراجع :

أولا– المصادر

* القرآن الكريم و السنة النبوية

1- ابن الدين الأغواطي الحاج ، **رحلة الأغواطي الحاج ابن الدين في شمال إفريقيا و السودان و الدرعية** ، تح:أبو القاسم سعد الله ،دار المعرفة الدولية،الجزائر ،2011.

2- ابن القاضي أبي العباس أحمد بن محمد المكناسي، **درّة الحجّال في أسماء الرجال** ، تح: محمد الأحمدي أبو النور،ج2، ط1، دار التراث ، القاهرة ، 1971 .

3- ابن بابا حيدا محمد الطيب التمنطيطي، **القول البسيط في أخبار تمنطيط** ، تح : فرج محمود فرج ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر،1997 .

4- ابن بطوطة ،**تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار** ،ج2 ، ط1،المطبعة الحجرية لصاحبها عمر حسين الخشاب، مصر ،1322هـ

5- إبن حرذاذية أبو القاسم عبيد بن عبد الله ، **المسالك والممالك** ، مرا: ج دي خوية بريل ، دار الطباعة مكتبة المشن ، بغداد ،1989.

6- ابن خلدون عبد الرحمان، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، مرا :خليل شحادة و سهيل زكار ،ج7 ، دار الفكر ،لبنان ، 2001.

7- ابن خلدون عبد الرحمان، **مقدمة ابن خلدون** (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، مرا :خليل شحادة و سهيل زكار ،دار الفكر ،لبنان ، 2001.

8- ابن مريم أبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الشريف ، **البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان** ، راج: محمد بن أبي شنب ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986.

9- ابن منظور مخمد بن مكرم ، **لسان العرب** ،ج1 ،ط1 ، دار صادر ، بيروت، 2003 .

10- الإصطخري أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الفارس ، **مسالك الممالك** ،تح: محمد صابر عبد العالي ،مطبعة بريل ،لندن،1937.

11- بن فرحون برهان الدين إبراهيم ابن علي بن محمد، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب** ،ط1، 1229هـ .

12- بن مخلوف محمد بن محمد، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية** ، المطبعة السلفية ، القاهرة ،1349 هـ.

13- التنبكتي أحمد بابا ، **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج** ، ج2، تح: محمد مطيع ، مطبعة فضالة، المغرب، 2000.

14- التنبكتي أحمد بابا، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج** ، تق :عبد الحميد عبد الله الهرامة، ج1-2، ط1، منشورات كلية الدعوة الاسلامية ،طرابلس ، 1989م .

15- الحفناوي أبي القاسم محمد بن أبي القاسم الديسي ، **تعريف الخلف برجال السلف** ، مطبعة بيير فونتانة الشرقية ، الجزائر ،1906.

16- الرصاع أبوعبد الله الانصاري ، **فهرست الرصاع**، تح :محمد العنابي، المكتبة العتيقة ،تونس ،(د.ت).

17- الزركلي خير الدين، **الأعلام** (قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب و المستعربين و المستشرقين) ،ج6 ، ط15 ،دار العلم للملايين ، لبنان ،2002.

18- السلاوي أبو العباس الناصري أحمد بن خالد ، **الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى** ،تح:جعفر الناصري ومحمد الناصري،ج4،دار الكتاب ،الدار البيضاء ،1997.

19- الشفشاوني محمد بن عسكر الحسن ، **دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن 10هـ**، تح: محمد حجي، ط2، دار الغرب ،الرباط ،1977.

20- عبد الله السعدي عبد الرحمان ، **تاريخ السودان** ،طبعة هوداس،باريس 1981.

21- العياشي أبوسالم عبد الله محمد، **الرحلة العياشية** ، ،تح: سعيد الفاضلي و سليمان القرشي، ج1 ، ط1، دار السويدي، الامارات العربية المتحدة، 2006.

22- القشتالي عبد العزيز ، **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا** ،تح:عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف ، المغرب 1972.

23- كاربخال مارمول ، **إفريقيا**،ج3، تر:محمد حجي و آخرون، دار المعرفة ،الرباط، 1984.

24- الماوردي أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب حسين ، **الأحكام السلطانية و الولايات الدينية** ، تح: أحمد مبارك البغدادي ،ط1 ، دار ابن قتيبة ، الكويت ، 1989.

25- المغيلي محمد بن عبد الكريم ، **تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين من حسن النيّة للإمارة** ، تح: محمد رمضان يوسف ،دار ابن حزم ،ط1،بيروت ،1994.

26- المغيلي محمد بن عبد الكريم ، **مصباح الأرواح في أصول الفلاح** ،تح :عبد المجيد خيالي ، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت، 2001.

27- المغيلي محمد بن عبد الكريم ، **أسئلة الأسقيا و أجوبة المغيلي** ، تح : عبد القادر زبايدية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.

28- الوزان الحسن بن محمد الفاسي ، **وصف إفريقيا** ،، تر:محمد حجي و محمد الأخضر ، ج2،ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،1983.

29- الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحي، **المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقيا والأندلس و المغرب** ،تح: محمد حجي وآخرون ،ج2،وزارة الاوقاف و الشؤون الاسلامية ،الرباط ،1981.

ثانيا :المراجع باللغة العربية :

1– أبا الصافي أحمد جعفري ، **أبحاث في التراث** (من تاريخ توات)، جامعة أدرار ، 2008 .

2- أحمد حسن محمود، **الإسلام و الثقافة العربية في إفريقيا** ،(د د ن) ،القاهرة ،1957.

3- برايما باري عثمان، **جذور الحضارة الاسلامية في الغرب الافريقي** ،ط1 ،دار الامين ،مصر ،2000.

4- بشير عبد الرحمان ، **اليهود في المغرب العربي** ،(22هـ-462هـ/642م-1070م) ط1، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الإجتماعية، مصر،2001 .

5- بكري عبد الحميد ، **النبذة في تاريخ توات وأعلامها**، ط1 ، دار الهدى، الجزائر ، 2005.

6- الترغي عبد الله مرابط ، **فهارس علماء المغرب** (منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة)،ط1 منشورات كلية الآداب و العلوم الانسانية ، تطوان،1999.

7- الجيلالي عبد الرحمن، **تاريخ الجزائر العام** ، ط7، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1994.

8- حجي محمد، **الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين** ،ج2، مكتبة فضالة ،المغرب ،1978.

9- حمدان جمال ، **اليهود** (أنثروبولوجيا)، تق :عبد الوهاب المسيري ، دار الهلال ، مصر ، 1996.

10- حوتية محمد الصالح، **توات و الأزواد** (خلال القرنين 12 و 13 للهجرة، 18 و19 ميلادي ، دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية)،دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007.

11- زبايدية عبد القادر، **مملكة صنغاي في عهد الاسقين**، الجزائر، 1989.

12- سالم محمد، **تأثير الأزمات التاريخية و الإقليمية في حياة الشيخ العلامة محمد بن عبد الكريم المغيلي**، مخطوط ، الجزائر ،(د.ت).

13- سعد الله فوزي ،**يهود الجزائر هؤلاء المجهولين** ، شركة دار الأمة ، الجزائر ،1995 .

14- السيد كمال أبو مصطفى ، **جوانب من الحياة الإجتماعية و الإقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل و فتاوى المعيار المعرب للونشريسي** ، مركز الاسكندرية للكتاب ، الاسكندرية ،1996.

15- علي عطا محمد شحاته ريّة، **اليهود في بلاد المغرب الأقصى** (في عهد المرينيين و الوطاسين) ،ط1، دار الكلمة،سوريا ،1999 .

16- كروم عبد الله، **الرحلات بإقليم توات** (دراسة تاريخية وأدبية للرحلات المخطوطة بخزائن توات) ، دار النشر دحلب، الجزائر ، 2006 .

17-كمال مصطفى عبد العليم و فرج سيد راشد ، **اليهود في العالم القديم** ،ط1، دار القلم، سوريا ،1995.

18- محمد زبيدة عطا ، **اليهود في العالم العربي** (دراسة تاريخية في قضايا الهوية ،الإندماج، القدس)، ج1، ط1 ، دار العين للدراسات و البحوث ، مصر ،2003.

19- محمود فرج فرج ، **إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر و التاسع عشر** ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1977.

20- مقدم مبروك، **الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ودوره في تأسيس الإمارات الإسلامية بإفريقيا الغربية خلال القرن 9 هـ-15م** ، دار الغرب للنشر و التوزيع ، وهران 2006 .

21- مقدم مبروك، **الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي وإسهاماته في نشر الثقافة الاسلامية في إفريقيا الغربية** ،دار الغرب، وهران، 2000 .

22- مقدم مبروك، **الشيخ محمد بن عبد الكريم و أثره الإصلاحي بإمارات و ممالك إفريقيا الغربية خلال القرن الثامن والتاسع والعاشر للهجرة** ،ج1 ،ط2 ، دار الغرب للنشر والتوزيع ، 2002 .

ثالثا : المراجع الأجنبية:

1-JACOB OLEIL ,**Les juifs au Sahara** ,**le touat au moyen âge** , cnrs édition, paris,1994.

2-Mandeville G :**l'Algérie méridionale et Touat** ,Paris,1898.

3-MARTIN .AGP : **quatre siècles d'histoire marocain** (**1504-1904**), paris, 1923

4-Ruclus Elisée : **Nouvelle géographie universelle** ,T-XI(L'Afrique septentrionale) ,paris,1886.

رابعا:الرسائل الجامعية :

1- اسماعيل بركات ،**الدرر المكنونة في نوازل مازونة**(لأبو زكريا يحي بن موسى بن عيسى بن يحي المغيلي المازوني،توفي: 880هـ-1478م)،رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط ،إشراف عبد العزيز فيلالي ،كلية العلوم الإجتماعية و الانسانية ،قسم آثار ،جامعة منتوري ،قسنطينة ، 2009-2010.

2- بوعمامة فاطمة ، **اليهود في المغرب الإسلامي** (خلال القرنين 7هـ- 9هـ / 13-15م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، إشراف الدكتور خالد كبير علال ،جامعة الجزائر بن يوسف بن خدة ،كلية العلوم الإجتماعية و الإنسانية ،قسم التاريخ ،2008-2009.

3- بونابي الطاهر، **الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين** (8 و9هـ-14 و15م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الاسلامي الوسيط ،إشراف الدكتور عبد العزيز فيلالي،قسم التاريخ،جامعة الجزائر،2008-2009.

4- سالمي زينب ،**الحركة العلمية في إقليم توات خلال القرون 08-10هـ** ، رسالة ماجستر في تاريخ المغرب العربي ، إشراف الدكتور بودواية مبخوت، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية ، قسم التاريخ و علم الآثار،جامعة أبي بكر بلقايد ،تلمسان،2011-2012.

5- فلفول اسماعيل ، **دراسة مقارنة بين القوى الدينية في الجزائر والمغرب الأقصى خلال القرن 10هـ-16هـ** ، مذكرة ماجستير ، في التاريخ الحديث ، إشراف الدكتور أرزقي شويتام، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر 2، 2011-2012.

6- محمد تختوخ ، **الزوايا في إقليم توات** (تيميمون-توات الوسطى تديكلت، دراسة سوسيولوجية مونوغرافية للزاوية الطاهرية)،رسالة ماجستير في علم الاجتماع المعرفة و المنهجية،اشراف الدكتور عبد الرحمان بوزيدة ،كلية العلوم الاجتماعية ،قسم علم الاجتماع ،جامعة الجزائر 2 ، 2012-2013.

7- مقران إيسلي ، **الفكر السياسي عند المغيلي** ، رسالة دكتوراه في الفلسفة، إشراف الدكتور عمار الطالبي ،كلية العلوم الاجتماعية ، قسم الفلسفة ،جامعة الجزائر2 ،2011-2012 .

8- نور الدين حاج أحمد، **المنهج الدعوي للإمام المغيلي** (من خلال الرسائل التي بعثها للملوك و الأمراء و العلماء)، رسالة ماجستير في الشريعة الاسلامية ، إشراف الدكتور مولود سعادة ، كلية العلوم الاجتماعية و العلوم الاسلامية ، جامعة الحاج لخضر، باتنة ،2010-2011 .

خامسا : القواميس و المعاجم :

1- نويهض عادل ، **معجم أعلام الجزائر** (من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر) ،ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للنشر ، لبنان ، 1980.

2- الفيروز أبادي مجد الدين، (ت 817هـ)،**القاموس المحيط** ، تح: أنس محمد الشامي ،زكرياء جابر أحمد ، دار الحديث ،القاهرة ،2008

3- المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم ، **المعجم العربي الأساسي** ، تونس ،المنظمة ،1989.

سادسا : الموسوعات :

1- الفيروز أبادي مجد الدين، (ت 817هـ)،**القاموس المحيط** ، تح: أنس محمد الشامي ،زكرياء جابر أحمد ، دار الحديث ،القاهرة ،2008

2- المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم ، **المعجم العربي الأساسي** ، تونس ،المنظمة ،1989.

سابعا : الدوريات و المجلاّت :

1- حاج أحمد الصديق آل المغيلي ، **الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي** ،مقال ، مجلة رسالة أدرار ، الجزائر، العدد1، 2011.

2- حاج أحمد الصديق آل المغيلي ،**الشخصيات العلمية**، مقال، مجلة : أدرار واحات الفن و قصور الأمان ، أدرار ، 2013.

3- شريخي نبيل ، **المناظرات والمناقشات العلمية لعلماء تلمسان في بلاد المغرب الأسلامي ، خلال القرنيين 8هـ -9هـ/14م-15م** ،مجلة كان التاريخية ، عدد 13 .سبتمبر 2011.

4- عبد الله مقلاني ، **التراث المخطوط لعلاماء الجزائر في غرب إفريقيا** (محاولة إحصاء و تعريف)، مقال ، مجلة رفوف 2، المسيلة، (دت).

5- مركز زايد للتنسيق و المتابعة ، **الطوائف اليهودية بالمغرب** ،سلسلة دراسات ، إصدار مركز زايد ،أبو ظبي ، (دت).

6- مسعود خالدي ، **محمد بن عبد الكريم المغيلي و دوره الاصلاحي في السودان الغربي** ،مقال ، مجلة كان ، العدد26، 2014.(رقمية).

7- المغيلي خدير، **مخطوط فاتحة الكتاب للإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي من تحصيل البداية إلى التحقيق والنهاية**، مقال ، دورية رفوف ،جامعة أدرار ، عدد 3 ، 2013 .

ثامنا :الملتقيات

أعمال ندوة التواصل الثقافي و الإجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء ،مرا: عبد الحميد الهرامة ، كلية الدعوة الإسلامية ، ليبيا ،12-14 ماي 1998:

أبو سعد عبد السلام، **العلاقات الثقافية بين الشعوب الإفريقية وأثر الإسلام و اللغة العربية في ترسيخها**.

محمود محمد ،**العلاقة الثقافية بين السكان في شمال و جنوب الصحراء الكبرى**.

الوزاني الطيب،**مقومات التفاعل الثقافي و الحضاري بين دول غرب إفريقيا و المغرب الأقصى ،معالجة في التركيب** .

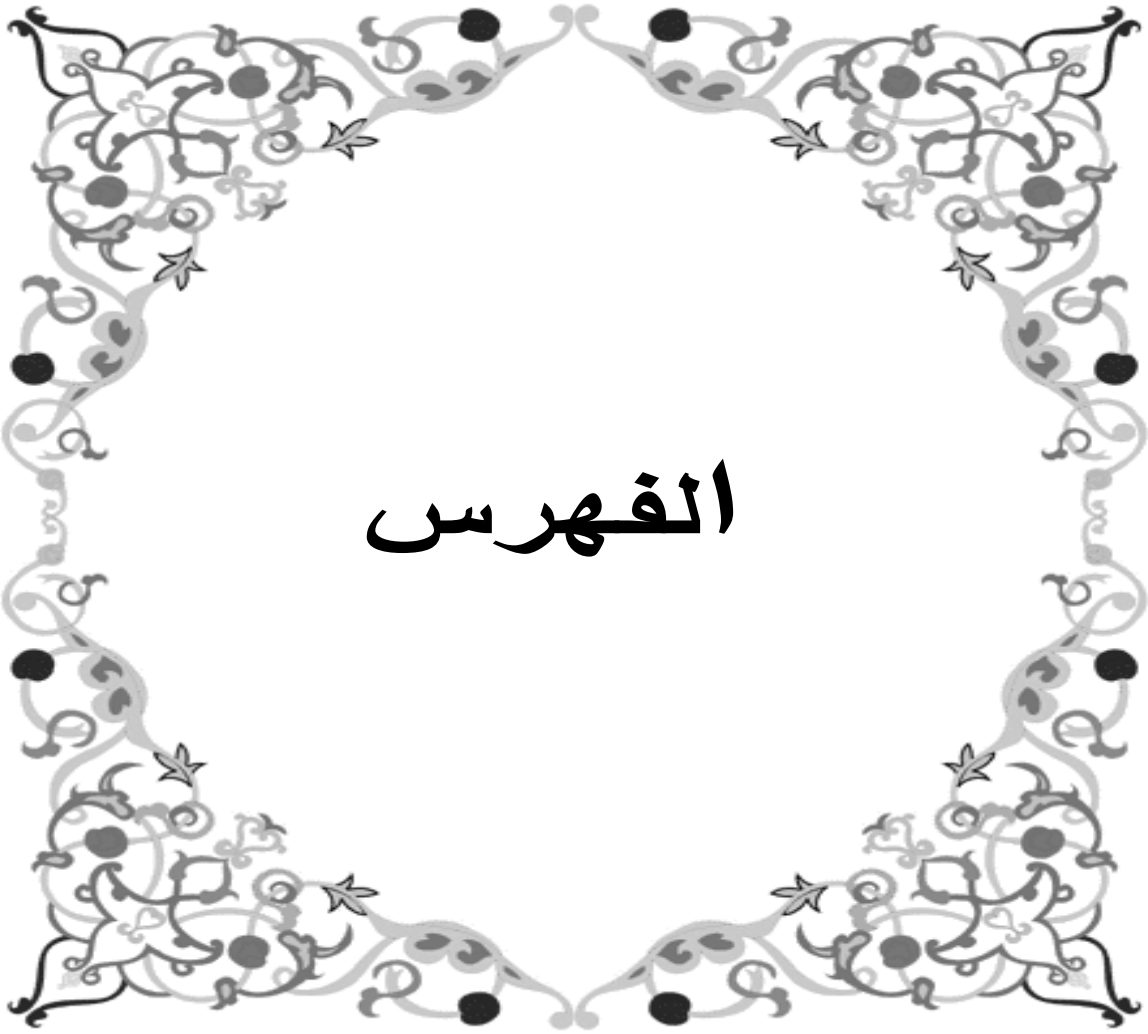

الفهرس

فهرس المحتويات

الإهداء

شكر

مقدمة

الفصل الأول: ترجمة للإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي

1-: نسبه و مولده و كلام أهل الفضل عنه..... **16**

2- نشأته: (رحلاته العلمية ومؤلفاته)..... **24**

3- علماء عصره:(معاصروره ،شيوخه ،تلاميذه)..... **35**

الفصل الثاني : توات عشية مجيء المغيلي.

1- التعريف بمنطقة توات..... **51**

2-الأهمية الإقتصادية لإقليم توات..... **61**

3- الوجود اليهودي بتوات..... **68**

4-مكانة اليهود السياسية و الإقتصادية..... **74**

الفصل الثالث :نازلة المغيلي ضدّ يهود توات

1- الإمام المغيلي في توات..... **90**

2 -فتوى المغيلي ضد يهود توات..... **94**

3- موقف علماء عصره من الفتوى **109**

4- أثر الفتوى **118**

خاتمة..... **133**

الملاحق..... **137**

البيبليوغرافيا..... **157**

فهرس المحتويات..... **167**